خير الدين عيسى
باحث اجتماعي

يقدم موضوعات

لمحات :
في العقيدة والاسلام

مقدمة في العقيدة

مقدمة في السمع والطاعة

مقدمة في الثواليث

تصحيح لمفاهيم حزب التحرير
في سوريا

مقدمة فى العقيدة

« العقيدة هى الرابطة الأصيلة التى لا تتبدل على الزمن ، ولا تتغير على الأحداث ، ولا تعترف بالأوطان ، ولا بحدود المكان والزمان » .

« أحمد حسن الباقورى »

العقيدة ...
من النهاية إلى البداية

..

ما هى العقيدة . . ؟

هل هى حاسة . . أم نتيجة تفاعل الحواس ؟

هل هى الإدراك أم الوعى . . ؟

كيف نشأت . . ومتى عُرفت . . ؟

هل هى نتيجة إحساس بفراغ . . ؟

ما صلتها بالنفس ؟ . . ما صلتها بالضمير والعقل . . ؟

ما الدافع لوجودها ؟ . . وهل تستمده من الكائنات المنظورة . . ؟ أم غير المنظورة . . ؟

هل هى فكرة لا تجد ما ينقضها فتعيش ثم تنمو حتى تتمكن . . ؟

هل يمكن أن يعيش الإنسان بلا عقيدة ؟ وإذا تمكن . . فما لون حياته . . ؟

ما هو مصدرها . . ؟ أسر الوجود .. أو سر الخليقه .. أو سر الخالق .. ؟

هل هى نزعة أم نزعات متعددة تجتمع وتتآلف فتتكون منها العقيدة . . ؟

أهى تجربة أم مجموعة تجارب . . ؟

أهى عادة ينساق إليها الناس ، وتتمثل فى جملة عادات تندمج معاً فيصبح مجموع الاندماج عقيدة ؟

متى تستقر العقيدة . . ؟

هل هناك مبادئ يجب أن تتواجد ثم تندمج معاً فيحدث هذا الاندماج حالة تتكون منها العقيدة ؟

هل يمكن أن يكون لإنسان واحد عقيدتان متناقضتان فى معتقد واحد ؟

هل للمبادئ الاجتماعية والسياسية والاقتصادية أثر فى تكوين العقائد ؟

ما أثر الدين فى تكوين العقيدة . . ؟

إلى أى حد تتحكم العقيدة فى مقوّمات الإنسان فيصبح مقيداً بها مضحياً من أجلها . . ؟

هل تتنافى العقيدة مع الذاتية . . ؟ وهل ينكر الإنسان ذاتيته ويؤمن بعقيدته على أنها مثله الأعلى ؟

هل تستوى العقائد المدروسة والمأخوذة والموروثة مع العقائد الممنوحة والموحاة والموهوبة . . ؟

كيف يمكن الحكم على إنسان من عقيدته ؟ ؟

* * *

كل هذه الأسئلة وغيرها وغيرها يمكن أن يقوم وأن يظل قائماً أبداً دون أن يلقى إجابة من أحد . ومع ذلك يمكن أن يقال أن هناك أناساً لهم عقائد . وأن احترام هذه العقائد واجب بالنسبة للغير ، ولا حكم على نوع هذا الواجب بالنسبة لأصحاب هذه العقائد ، ذلك لأن العقيدة ملحقة بالغير بقدر ما هى ملتصقة بأصحابها .

على أن أمر العقيدة يمكن تحليله على أساس أنه حالة معقدة يمكن تبسيطها لتفهم .

فالعقيدة تقوم دائماً عندما يحاول الإنسان فهم شئ لايدرك كيف تكوّن ، وقد تقوم عند ما يدرك الإنسان هذا الشئ كيف تكوّن ، ولكنه لا يدرك لماذا تكوّن .

والأمر بالنسبة للانسان بسيط ، إذا أدرك أنه مخلوق ، السر فى خلقه يقوم على عوامل طبيعية وإرادية ولاإرادية . وهو مسيّر غير مخيّر فى بداءة تكوينه . ثم هو مخيّر غير مسيّر إذا أدرك عوامل تكوينه ، ومؤديات تصرفاته . . وهو يسير طبقاً لناموس عام ، وضعه الخالق لعالم الوجود ، وترك للإنسان حرية الخروج عليه ، أو الالتصاق به . .

وإذن يمكن أن يقال أن العقيدة فكرة مارسها الإنسان حتى استقرّت فأصبحت عقيدة عنده . . ولا يهم إن كانت عقيدته صحيحة ، أو غير صحيحة ، ماهام هو لا يشعر بالفرق بين الصحيح وغير الصحيح ، إذ تكون حياته ذات وتيرة واحدة ، وتفكيره من جانب واحد . .

وقد يفكر الإنسان ليلا ونهاراً . وقد يفكر فى الليل فقط ، أو ينام دون تفكير . وقد يفكر ويعمل فى النهار ، وقد يعمل دون تفكير . وقد يفكر دون أن يعمل ، وقد لا يفكر ولا يعمل ، مختاراً أو مضطراً . . وقد يكون سطحياً أو متعمقاً . عادياً ، أو أقل ، أو أكثر من عادى . ومع ذلك ، وفى كل تلك الحالات التى ذكرتها ، لا يخلو من نزعة إلى التفكير قد يكون مبعثها الخوف . .

ففكرة أنه مهدد بالموت من شخص يعرفه أو شخص لا يعرفه ، لذنب ارتكبه ويذكره ، أو ارتكبه ، ولا يذكره لانقضاء مدة على ارتكابه ، أو لارتكابه ، خطأ أو عن غير قصد ، أو لارتكابه دون أن يتذكر أنه ارتكبه .. هذا وغيره يجعله مهدداً خائفاً على حياته . وقد تكون لحياته قيمة عند نفسه أو عند غيره من مواطنيه ، أو تكون قيمتها عند غيره أكثر منها عند نفسه . . وقد يكون نكرة لا يهم أحداً .. إلا أن عامل الخوف من الموت أو الفناء أو القصاص ، يجعله فى حالة اضطراب وعدم استقرار . وقد يأتى فعلا لا إرادياً بدافع الخوف ، يكون أثره على ذاته ، أشد مما قد يصيبه ، لو ترك أمره للقانون ليقتص منه . وقد يهمله القانون عن غير عمد أو عن عمد ، لعدم توافر الأدلة ضده ، ولكنه بدافع الخوف يقتص من نفسه فيكشف أمره لمن لم يكن ليستطيع أن يراه . لولا ذلك .

ويكمن وراء فكرة العقيدة عامل الخوف . .

وقد يخاف الانسان أن يدركه الموت ، وهو فى سن الشباب ، أو بداية الهيام الجسدى . وقد يخاف أن يدركه الموت وهو لم يتم بناء العمارة ، أو استصلاح الأرض التى وضع يده عليها ، إلى غير ذلك من الأسباب . . ويستوى فى الخوف من الموت الأليف والشرس من الناس ماداموا يعيشون فى عالم له نهاية .. لذلك ، فإنهم يجندون كل قواهم للحصول على الثمرات ، ولا يصبرون إلى أن تنضج ، فيقطفونها فجة .

وهكذا تبدأ حالة اضطراب الجسد ، نتيجة لإضطراب النفس . أما الذين يعيشون للانسانية .. فلا شك أنهم من خليط من البشر من كل مكان ، لا يعرف الخوف إلى نفوسهم سبيلا ، ولا تضعف عقيدتهم ، نتيجة صدمة أو صدمات ،

بعضهم يعرفه الناس ، وبعضهم يتجاهل وجوده حتى لا يعرفه أحد .. ولكنهم على أية حال ، يعيشون ويموتون دون أن يغنوا شيئاً من متاع الدنيا الرخيص . . وهكذا كل الرسالات الحميده : تبدأ وتنتهى بالكفاح ، والتضحية ، وإنكار الذات ، وينتهى أصحابها فقراء ، ان لم ينتهوا قتلا أو غدراً .

وعامل الفقر عامل هام من عوامل اضطراب العقيدة . فإذا ارتكب الفقير حماقة ، فانه يعلم أنه يرتكبها عمداً — وان كان لا يحاسب نفسه على ارتكابها كالقادر على عدم ارتكابها — لأن ليس عنده ما يعوضه عن ارتكاب الحماقة ، للاضطرار ...

وقد تدفع العقيدة صاحب رأس المال الكبير إلى تفتيت ثروته ، فى المشروعات الكبرى ، فيزداد دخله بدلا من أن ينقص رأس المال ، وقد يندفع صاحب رأس مال آخر ، إلى ارتكاب الحماقات ، مدفوعا بعوامل الطمع فى الدنيا ، فيدوس بقدميه المقدسات ، ويرتكب المحرمات ، وهو يعلم أنه سيحاسب على كل هذه الأفعال ، ومع كل ذلك ، لا يجد وازعا من ضمير لايقافه عند حد . . . وقد يزيده الله فى الرزق ليزيد عليه فى القصاص . وقد يفقده ما يملك فى الدنيا ليعوضه عما فقده فى الآخرة ، وقد تكون فكرة الآخرة أو القصاص أو الحساب ، آخر ما يفكر فيه هذا الانسان . « فلما نسوا ما ذكروا به فتحت عليهم أبواب كل شىء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون » .

وقد يكون إنساناً من نوع آخر . له أحاسيسه وله معتقدات ، ومع ذلك ، فهو يطمع فى الغنى فيزداد فقراً . . وهكذا تبدأ خيبة ظن الإنسان بنفسه ،

وإيمانه بأنه لا يستطيع شيئاً إذا كان الله لا يريد أن يكون هذا الشيء — وتزداد خيبة الظن بنفسه حساسية ، وتزداد أموره تعقيداً . . وقد لا يكون له يد في خيبته ، ولسبب خارج عن إرادته قد لا يحسه ولا يستطيع أن يرفضه — يتحول فشله في الحياة الدنيا إلى نجاح ، ووصول إلى نظرة إلى الآخرة . . . نظرة اطمئنان وثقة ، بأن الله لا يظلم أحداً ، وإنما الناس أنفسهم يظلمون .

إنه مؤمن بحسب عقيدته بأنه بذل ما في وسعه ، ولا شأن له إن حقق أو أخفق . وهنا تبدأ العقيدة تلبس لوناً شفافاً . لا شيء يحجبها عن الخالق ، وإن كانت تظل غامضة بالنسبة للمخلوق . وهي هنا بمثابة الرصيد المتبقى من إيمان الإنسان بالله كقدرة فائقة ، وكقوة غير منظورة ، غير محسوسة ، ولكنها البقية المادية لما يستطيع أن يلمسه هذا الإنسان . ذلك لأن ضعف الإنسان عن فهم الصلة التي تربطه بالروح ، أي عجزه عن فهم نفسه ، لا يفقده حقه في المغفرة ، مادام لم يتشفع في غير الله خالقه . .

إن الإيمان ، والضمير ، والعفة ، والشرف ، والعقل ، والثقة ، والإحساس الخاص . . كل هذه الصفات ، تتمثل في أركان العقيدة ، لتجعل منها حقيقة كاملة ، بعد أن أدرك الإنسان الحقائق الظاهرية الملموسة فيما أنزله الله على الناس أيام النبي موسى والنبي إبراهيم عليهما السلام .

والمحسوسات الملموسات في أركان العقيدة ، تختلف قيمهن باختلاف المقصود ، ووفقاً للزمان والمكان . فحيثما كانت روحانية كان صفاء ، وحيثما كانت مادية كان مهكروب الفناء معربداً فيها ، إذ لا بد من عدم ، ليكون وجود . ولا بد من تطور ، ليصير تجديد .

إن آفة العقيدة الشك ، فإذا انتفى الشك سلمت العقيدة .

ولكن هذه الفلسفة لا تقدم للباحث نظرية ثابته يسندها المنطق إذا قدر الباحث أنه من الممكن أن يكون شيئاً آخراً مستقلا عن ذاته أثناء تقديم هذا البحث ، أي أن تكون له شخصيتان ... واحدة ماديه ، وأخرى معنوية . لأنه لا يستطيع أن يفصل بين الشخصيتين المادية والمعنوية ، ولا يستطيع أن يتحكم فى إجراء هذا الفصل ، إلا إذا خالف عقيدته . وهو لن يفعل ذلك وهو مؤمن ، وصاحب عقيدة . وهو لذلك يؤمن بأنه منتهى ، وأنه سيحاسب إذ لا مفر له من يوم الحساب .

إن الانسان الأول أزلى لأنه بداية الانسان ذاته ، وسينعت كل مولود جديد بعده باسمه ، لأنه مصدره .

إن الانسان أزلى لا تعرف بدايته على وجه التحديد ، وقد اختلف الناس للآن فى أمر نشأة الإنسان ، لأن منهم طبيعيون لا يؤمنون بخالق اسمه الله .

إن الإنسان المنعوت باسم ابن آدم سوف يتجدد ، تبعاً لناموس الحركة ، والموت آفة الحياة . . فكيف السبيل إلى مناقشة أسباب الوجود؟ فإذا عرفناها فلا بد للسبب من مسبب .

إن الانسان سيولد وسيموت وسيبعث ولو أن البعث فى الخلق الواحد كان قاصراً على من اختارهم الله من عباده الصالحين .

والايمان عن طريق الدين — أى دين — يقيد العقيدة بدستور هذا الدين ، ولكنه لا يمكّن الانسان من أن يعيش جامداً، لأن فى الجمود فناء .. فهو قابل للتطور وفقاً لنظرية النشوء والارتقاء . لأنه آية هذا الوجود . وهو الذى يستطيع بقوة الروح

التى تسكنه ، ان يصنع المعجزات ، أو أن يضعف وينحل جسده ، نتيجة تبتل أو إسراف ..

إن العقيدة التى أتحدث عنها فكرة وإيحاء .. ولكل منا عقيدة تختلف عن عقيدة الآخر نسبياً . فطاقة الانسان على الاحتمال لا تتساوى ، ولكنها تتناسب . وبمقدار هذه النسبية ، تتحكم العقيدة فى الانسان .

والانسان لا يصنع العقيدة ، ولا يتحكم فيها ، بل هى التى تحكمه أو تتحكم فيه أحيانا .

إن الانسان لا يحلل نفسه ، ولكنه يحلل نفسيتها ، أى نفسية نفسه . لأن نفسيته كذات انسانية حية ، سر من أسرار الوجود ، ارتبط فيه المنطق ارتباطاً لا سبيل الى نقضه .

ومهما كان الإنسان معمراً فى الأرض ، فهو لابد ميت ، أى منفصل عن الروح التى تسكنه ، لأن طاقته على البقاء لها احتمال خاص ، ولأن تقادم الأصل ، وبقائه متطوراً متمشياً مع سنة النشوء والارتقاء ، يحتم التجديد ، تبعاً لناموس الحركة .

وبما أن الإنسان لا سلطان له على الحركة إلا إذا كان حياً ، فانه لذلك يسير وفقاً لمشيئة لا قبل له على إيقافها أو تبديلها ، مسلماً بما وجد عليه آبائه : وانقضت عهود طويلة ولم يثبت أن واحداً من الذين كانوا يعيشون بأجسادهم فى الماضى البعيد ، لا يزال يعيش فى الحاضر . وإن كان لم يدركه الموت .

ومع أن أجيالا متعاقبة تعيش فى زمن واحد ، فان عامل التطور لابد آخذها ومبدلها خلقاً جديداً . « إن يشأ يذهبكم ويأتى بخلق جديد » .

فالموت إذن بالنسبة للانسان — أى بالنسبة لأبناء آدم — ارتحال من مكان معروف ، إلى مكان غير معروف ، آمن به الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر كجنة تجرى من تحتها الأنهار ، وقال عنه الكفار أن لا جنة ولا نار .

وهكذا ترى أن العقيدة للمتدين غيرها لمن ليس له دين . انها فى الأولى : حصن الطمأنينة ، وبالنسبة للثانية : عقدة نفسية تركزت بمرور الوقت ، فأصبحت مركب نقص .

ومهما كانت الحلول والمحاولات لإطالة العمر ، أو تقوية الطاقة ودعمها ، فإنها قطعاً لن تغير من ناموس الطبيعة ، وناموس الحركة ، وسنن النشوء والارتقاء . .

* * *

لقد مسخ الانسان الصورة الطبيعية لخلقته عند ما حاول أن يضفى على شيخوخته شباباً . وعند ما اتضحت له هذه الحقيقة المرة ، أصابه غم عجل فى القضاء على حالته الطبيعية فصار مسخاً . . وأصبح المديح فيه كأنه هجواً . . وما الحديث الذى نسمعه عن سن اليأس ، والنضوب ، والعقم ، والمراهقة ، والطفولة ، وغير ذلك مما يجىء متفقاً مع بعض أطوار الحياة سوى ألوان تؤكد تلك الحقيقة الأزلية . . إن ذاتية الانسان باقية ، ولكن صوره متجددة . . !

وقد تكون جميع الأمراض التي يصاب بها الانسان قابلة للشفاء ، إلا الهرم . وهناك حديث قدسي يؤكد ذلك .

وقد شرح هؤلاء الأحياء ، أصل الانسان ، على أنه أميبا (خلية) سايرت سنن النشوء والارتقاء حتى صارت إنسانا ...!

ولا جدال في أن عقيدة هؤلاء السادة بتاريخ أصولهم ، تتنافى مع عقيدة المؤمن . وأرى ، أن انتشار نظريتهم في زمن كهذا ، زاد فيه الاجتهاد ، وضعفت فيه العقائد الروحية على عكس ما كان ينتظر ، وأصبحت الثقة الاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية ، والدينية أيضاً بصفة عامة ، محل شك بين الناس — أن انتشار هذه التعاليم ، رغم تعارضها — يعود بنا إلى البدائية الأولى ، أي قبل أن تعرف العقائد السماوية المنزلة ، والموحاه ، لأنبيائه ، ومن اختارهم على أعقاب التاريخ معلمين للشعوب ..

وإني كصاحب عقيدة أشك في أن أصل الانسان أميبا تنمو وتحيا في مكان ما من جوانب الطبيعة ، وإن كنت لا أشك في أن الخليقة ترجع الى أصل واحد هو آدم ، الذي خلقه الله إنساناً كاملا غير عقيم ، دون أن يمر بأطوار السن والولادة الجسدية . ورغم اجتزاء ضلع من آدم ، لتخلق منه حواء — دون أن تمر أيضاً بأطوار السن والولادة الجسدية — فإن آدم خلق كاملا . ورغم أنه قد تم بالتناسل عن طريق تلقيح المذنبات المنوية البشرية ، المحدودة معالمها وكينونتها ومكانها في جسم الانسان ، فإن أبناء آدم خلقوا أيضاً كاملين . وإن كان لسنة النشوء والارتقاء أثر على كيانهم ، فإن هذا الأثر لا يتعدى تطور البيئة ، واللون ،

والسن، لا الشخصية المعنوية ذاتها .. فان جميع أعضاء الانسان تولد معه وهو طفل، وإن كانت بعض الظاهرات الثانوية تنشأ فى سن المراهقة معبرة عن نضوج بعض العناصر المحددة الظهور فى وقت معين.

وبما أن الحياة المادية ـ حياة أى إنسان ـ إنما تقاس بالسن أى بالوقت الذى قضاه هذا الإنسان فى الحياة منذ ولادته حتى وفاته . فان عمر الانسان الذى نعرفه يمكن قياسه بمقياس الوقت ويمكن تحديده ومعرفة العناصر التى يتكون منها طبيعياً . .

وبما أننا لا نعرف على وجه التحديد تاريخ خلق الانسان الاول ، فلا أقل من أن ندعوا علماء الأحياء القائلين بأن أصل الإنسان أميبا ، ليشرحوا لنا الانسان الحالى الذى أصبحت ولادته بالتناسل حقيقة ملموسة ـ كيف تطور من مخلوق بارادته إلى مخلوق لا إرادة له فى خلقه .

إن حقيقة خلق الانسان الأول من تراب حقيقية فيما أعتقد بعد أن اتضح لى ولكم، بالممارسة ، والاختبار ، والاطلاع ، والدرس والمعاشرة ، وبطرق بدهية لا تحتمل الاجتهاد أو المناقشة . لأنى رأيت كما رأيتم ، الكثيرين من الناس الذين ولدوا ، ونعرف متى ولدوا ، والذين ماتوا ، ونعرف تاريخ وفاتهم ، كيف أنهم عادوا تراباً . .

وإذا كنا لا نستطيع أن نتصور كيف تطورت سنة النشوء والارتقاء فنتخيل بداية الإنسان بصورة واضحة ، فلا أقل من أن نساير النهاية مسايرة عكسية لنعود بها إلى البداية ، بدلاً من أن نجادل حقيقة خلق الإنسان الأول من تراب التى ينكرها علماء الأحياء ، و بالتالى ننفى من عقولنا ركناً هاماً من أركان العقيدة التى نؤمن بها وهى أن الله خلق آدم من تراب ، وأنه حين خلق حواء ، خلقها من ضلع منه ، حتى

لا يتكرر الخلق من معدن واحد وبطريقة واحدة ، لاستحالة توحيد خلق واحد يتم على مرحلتين وفي زمنين متباعدين ، وحتى يظل خلق آدم أصلا واحداً متفقاً مع مبدأ التوحيد ، وأن يكون خلق حواء من ضلع منه مثبتاً لنظرية سنة النشوء ، والارتقاء ، فيكون الخلق الأول من تراب ، ويكون الخلق الثاني من عناصر تفاعلت تفاعلا جديداً ، وبهذا يكون الله سبحانه وتعالى أول من وضع سنة النشوء والارتقاء ...

وإذا قيل بعد ذلك أن عيسى عليه السلام قد خلق بالروح كأمر من أوامر الله سبحانه وتعالى ، وقيل فى القرآن بأن مثل عيسى كمثل آدم مع اختلاف الطريقتين في الخلق ، فان فى هذا ما يثبت بأن الله غالب على أمره .

وإذا قيست طريقة خلق عيسى بالروح بنظرية السادة علماء الأحياء من أن أصل الإنسان أميبا أو بويضات جراثيم حيوية تعيش فى جنبات المستنقعات ، أو تحت الأحجار ، وفى المياه الراكدة ، إلى آخر تلك المواطن . فإن ناموس الحركة المعبر عن اختلاف الزمان ، يأبى أن يصدق أن أية جرثومة تطورت فى يوم ما فأصبحت إنساناً يعقل ، ثم إنساناً يقرر بعد أن يعقل ، أن أصله جرثومة ، أو أن أصله أميبا أو أن أصله ميكروب ، نشأ فى ماء آسن ولم يكن أمراً مقضيا قضى الله أن يكون ..

إن الإنسان وهو آية الوجود الكبرى لا يجوز أن يكون مصدره بيئة الميكروبات ، والجراثيم التى يحاربها ، لأن فى بقائها القضاء عليه . وإذا قيل بأن الإنسان يحتوى فى جسده ، وفى أمعائه ، على جراثيم وديدان قد يكون بينها الكثير من الطفيليات ، فهذا أمر جد طبيعى لأن أصل الإنسان من تراب ومن عناصر طبيعية . وهو فى حالة افتراق الروح عن الجسد ، وانقطاع النفس ، يبلى فتأكله الديدان التى

تعيش فيه ، أو التى تنشأ بعد أن تفارق الحياة الجسد . فآفة العدم مرافقةللانسان منذ ولادته ، وإلا لما دب فيه دبيب الفناء . فالحى لا يموت بطبيعته إلا إذا تلاقح مع طبيعة ميته ، وتفاعل هاتين الطبيعتين وقدرتهما على البقاء ، انما ترجع الى أمر لا ارادي بالنسبة للانسان ، والا لاستطاع أن يتحكم فى الحياة ، ويأبى الموت ويقدر على البقاء .

وأعتقد أن هذا تفسير منطقى لتطبيق مثل آدم على عيسى عليه السلام ، ولاشك عندى فى أن خلق عيسى بالروح هو تدبير إلهى ومرحلة أخيرة من مراحل النشوء والارتقاء قضى الله أن تكون سابقة للرسالة الإسلامية حتى تسلم العقائد من الشكوك التى ساورتها ومن الشوائب التى سايرت المصطلحات التى اجتهد في اقرارها كمبادىء للعقائد ، قوم كانت لهم مصلحة ذاتية فى ذلك .

ان آفة العقيدة لا تكمن فيها بل فى الانسان ، فاذا سلمت العقيدة أصبحت محل تقديس وهى على أية حال تتركز وفقاً للايمان السليم .

والدين — أى دين — ما هو الا الدستور الذى اختاره الخالق للناس ، والديانات مجموعة شرائع ، أو تشريعات ، ومبادىء ، ومناهج لا يدفعنا الى الاعتقاد فيها الا مقدار تجاوبها مع إحتياجاتنا الروحية ، والجسدية ، والاجتماعية . والعقيدة كالروح أمرها فوق طاقة البشر تفسيره ، ومعرفة سره . ولكنها الى حد ما ، أقرب الأحاسيس الى النفس ، وأقربها الى التأثر بالعادات والتقاليد .

وفلسفة العقيدة ، تتعالى ، وتتسامى ، كلما كانت خالصة . وتنخفض ، وتتدانى كلما كانت مسببه . ومثلها فى القضاء والقدر اذا شاء الانسان أن يسلم فليسلم ، وان شاء

أن يلزم ستسلم . وفى هذه الحالة يكون التسليم بدون فهم مطلقاً ، وتكون الطاعة عمياء بجهلاء ، وفى الحالتين لا تكون العقيدة ذاتها مسؤولة ، لأن الانسان يستطيع أن يتحكم فى الاعتقاد فيقبله أو يرفضه أن جزئياً أو كلياً .

وقد نتفق جميعاً فى عقيدة واحدة نعتقدها ، تختلف عند كل منا اختلافاً نسبياً . فطاقة الانسان على الاعتقاد لا تتساوى ولكنها تتناسب . وبمقدار هذه النسبة ، تتحكم العقيدة فى الانسان ! .

وحيث تكون للعقيدة بواعث فلا بد لهذه البواعث من نتائج عملية ، مادية كانت أو روحية ، لأن سيطرة العقيدة على الانسان متجانسة مع قوة نفسيته ، حتى ولو كان ضعيف الجسد فاليوجى مثلا ، حين يعذب جسده ، فانه لا يقصد اهانة الجسد وتعذيبه بالذات ، ولكنه يقصد ارضاء الروح معتقداً أن الجسد سبب المفاسد وأنه بتعذيبه اياه يرضى روحه .

وتظل العقيدة سليمة ما لم يشبها غرض . وتقوى الى حد الايمان المطلق كلما كان الانسان راغباً عن متاع الدنيا باعتباره قليل . .

والعقائد المادية تنشأ نتيجة معاملات تتم بين الناس . أما العقائد الروحية فهى الانسان لوحدة مع الخالق لا تنفصم عروتها لسبب مادى . ذلك لأن وحدة المخلوق مع الخالق وحدة روحية .

وتكرار العبارات توصلا الى ادراك المعنى لا بد أن يؤدى الى ادراكه ، وبالتالى سيؤدى الى الوصول الى الكلمة المؤدية ، المعبرة عن هذا المعنى باختصار كلى .

فحين تعددت الآلهة ، وكثرت التعبيرات التى أدت الى تسميات مختلفة لها . بدأ اختصار تلك المسميات لحصر قوة العبارة والكلمة ، فى لفظ واحد ، هو الله ... !

وهكذا حين تعددت المعتقدات واختلط على الناس أمر اتباع معتقد واحدسليم، اتجهوا الى الله من طرق مختلفه ، أدت كلها الى هدف واحد ، اذ كانت قبلتهم وهدفهم التوحيد .

والاعتقاد هو نتيجة إيحاء أملاه الإحساس بالفراغ ، أو بالحاجة اليه ، فارتاحت اليه النفس ، فأصبح عقيدة . وإذن فالعقيدة هى نتيجة استقرار فكرة لا إرادية ، استحوذت على العقل ، فدفعته نحو مصير معين ، شعر بالسكون اليه .

والمعتقدات هى مسالك طرق يسلكها الإنسان ، فتؤدى به فى النهاية إلى نتائج بدهية تختلف نتائجها باختلاف أنواع البدهيات التى حاول فهمها وادراكها ، وانتهت به إلى الوقوف عند حد معين ، أو رغب وهو مرتاح إلى ذلك أن يصل إلى حد يراه صحيحاً ، بالايمان . فالايمان بالعقيدة اطمئنان وثقة واعتقاد .

والعقائد لا تورث ، ولكنها تتوارث بصفة تقليدية . وفى استطاعة الإنسان أن يتخلى عن هذا الميراث بارادته إذا أدرك ضعف أو خطأ معتقداته .

والعقيدة الصحيحة السليمة هى فى ادراك الانسان حقيقة نفسه ومنشأه ومرجعه فى النهاية . فهو لا يحلل نفسه — كما قلت — ولكنه يحلل نفسيتها .

والعقيدة غير المفهومة بداهة عقيدة غير جديرة بأن تعتقد .

والتعقيد فى العقائد يؤدى الى التسليم أحيانًا بدون مناقشة ! والحياة على هذه

الوتيرة فيها جمود تأباه سنن النشوء والارتقاء ، وقد يؤدى هذا التعقيد الى التخلى عن عقيدة ما واعتناق أخرى...

ولعلنا ندرك الآن أن العقيدة سر من الأسرار التى تحرك البشرية نحو مصير محتوم . فكلما كان الاعتقاد بالله خالصاً ، كان مصير الانسان معلقاً ، على مقدار ما يقدمه من عمل خالص لله . . .

وأن أقوى العقائد وأخلصها ما كان هدفه غير منتظر الجزاء . . .

* * *

على أن فهم الناس للعقيدة ظل حائراً إلى أن أدركهم الإسلام . . .

اعتقد المسلمون بأن لعبادة الله الخالصة نتائج إيجابية ، فآمنوا بالله ، على أمل أن تكون حياتهم الأخرى فى الجنة . . ودفعهم إلى الإيمان بالآخرة ، عذاب الدنيا ، وحرها ، وجدبها ، وشقاؤها ، وحزنها . وبذلك استطاعوا أن يهضموا عذاب الدنيا ، ليتمتعوا بالراحة فى الآخرة . وهكذا حرضهم الله على فعل الخير مع أنفسهم ومع الغير ، بطريق غير مباشر .

وإذا تصادف أن خاب ظن إنسان بإنسان — وهذا كثيراً ما يحدث — تعرضت عقيدته الى الاختبار . فاذا استطاع أن يحلل علة خيبة الظن بأخيه ، تمكن من اجتياز الاختبار دون أن تمس عقيدته . وإذا لم يتمكن ، جازف بقبول هذا الاختبار ، وكثيراً ما أخفق . . ومع ذلك فقد وسعت رحمة الله كل شىء .

وقد يكون لبحث بعض أركان العقيدة الاسلامية مجال للاجتهاد يختلف باختلاف نزعة الباحث نحو فهمه .

فالعقيدة التي تدفع المسلم لرجم الشيطان بالحصى ، ما هي إلا لون فلسفي للفعل المادي ، يندفع فيه الناس ، لاتحصيلا لجزاء مادى ، ولكن لشفاء علة فى النفس.

وعقيدة إبراهيم التى بلغت حد إنكار الذات حين أوحت إليه أن يضحى بولده تنفيذاً لسنة التضحية ، مبعثها الايمان المطلق بالله الواحد غير المنظور ولطف الله الذى تجلى باستبدال الولد بكبش ، جاء محققاً لصدق ايمان ابراهيم بالله ؛ وخير جزاء لانتفاء الشك هو ثبوت اليقين . فقذف الشيطان بالجمرات والطواف والسعى والهرولة ، وغير ذلك من مناسك الحج ، ما هى الا تكرار لممارسة تقاليد عريقة تدفعها العقيدة الى مرتبة السنة والفرض والالتزام . وهى ان دلت اليوم على شئ فانما تدل على مقدار ما للعقيدة من قوة تجعل الانسان فوق انسانيته وفوق مستوى تفكيره . انها هنا الصوفية . والتصوف نتيجة تخمر فكرى ، فكلما تخمرت العقيدة أى اختمرت تصوف صاحبها ، وهذا هو المتنفس الوحيد لها .

ان النظرة الصوفية للحياة المادية ترى فى الانسان أداة صالحة للاستغلال والمتعة. فاستغلال القادرين لغير القادرين ، واستعبادهم لقاء لقمة العيش ، وتسخيرهم للبناء ، وتركهم فى العراء ، والاستمتاع بأجسادهم بارهاق ، يخلف نتائج منتظرة ملموسة . فاليافع حين يرجو اللذة البهيمية ويحصل عليها بطريقة ايجابية ينتهى الأمر به فى النهاية الى الاحساس والوصول الى النتيجة السابية التى خلفتها المتعة غير المشروعة أو غير المعتدلة ...

وقد يكون لليافع بقية من عمر لاصلاح مافات : ولكن هذه الافعال ان حدثت من انسان مسؤول مكتمل الرجولة متقدم فى السن كانت أشد وقعاً على

الانسانية وخيبة أكبر . وهنا يصبح التصرف الشخصى محل نقد الغير واصطدامه مع أصحاب العقائد يصبح أكثر احتمالا . والمجتمع عادة يتأثر بتهاون أعضائه فى تنفيذ اشتراطات ومراعاة تقاليد الناموس والشريعة والسنة والفرض ، ومن هنا ينشأ الالتزام . التزام الانسان باتباع تقاليد من صنعه هو ، وانتقال هذه التقاليد بمرور الايام وتطورها الى مرتبة العقيدة اذ تصبح وكأنها جزء منها..

ان العقيدة فى الاسلام قد سايرت سنن النشوء والارتقاء ، الى أبعد حد وقبلت مبدأ التطور ، ولم تعترض على العادات والتقاليد التى كان الناس يعيشون عليها قبل نزول القرآن . وقد اختلف بعض الناس فى تقدير وجهة الدين مع أن الحقيقة التى جاء بها الاسلام كانت من الصراحة والبساطة بحيث جعلت الناس يتخبطون فى تقدير وجهتها . فالاسلام حين يترك للناس حرية اتباع الطريق المؤدى إلى التوحيد، أو حين يرسم لهم صراطاً مستقيما للوصول إلى الواحد، فإنه انما يعطى لكل جيل من الأجيال ، ولكل قوم من الأقوام، فى كل زمان ومكان ، حق انهاء الحياة من البداية التى بدأوا منها ، لتعذر انتهائهم معاً قبل أن تكون نهاية جامعة ، وبعبارة أخرى نهاية للحياة الدنيا ... كما أنه لم يدع إلى التوحيد بالعنف بل ترك للإنسان الحرية فى أن يؤمن ، وفى ذلك قال «من شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر» وإن حذر الناس أن يشركوا بعبادة الله أحداً ، وفى ذلك قال « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » . وليس فى هذا أى تعقيد بالنسبة للرسالة أو بالنسبة للناس بل فيه التيسير كل التيسير للذين لايستطيعون أن يصلوا بادراكهم إلى فكرة التوحيد دفعة واحدة فالمسيحية التى تنادى بالبعث والقيامة إنما تنادى أيضاً بالتوحيد ولو أنها لم تسطع للآن أن تجد الداعية الذى يمكنه أن يجعل الناس يتقبلون الله دفعة

واحدة دون أن يقسموه إلى ثلاثة أقانيم . وعلى ذلك فان الانسان حين يعتقد مخلصاً بالله فانما يعتقد بأمر واجب التنفيذ، تحقيقاً لأمنية مقدرة الوقوع ، وعد الله بها المتقين من عباده المخلصين له الدين . ومن هنا تبدو العقيدة الاسلامية عاملة على اشتراك الانسان في التمتع بالدنيا ، وفى رجاء التمتع بالآخرة ، وعقيدة كهذه جديرة بأن تعتقد، لانها فى الوقت الذى توحى به للانسان أنه قادر على السيطرة على موقفه فى الدنيا فانها تترك له فرصة التمتع بالآخرة من حيث تمكن لروحه السير فى طريقها إلى آفاق أعلى وأبعد توصلا لخلاص الجسد من متاعب الحياة المادية وآلامها .فى الوقت الذى تسلم بأن الوجود لن ينعدم ما دام الانسان حى فيه ، وفى الوقت الذى تقرر بأن الناس سواسية كأسنان المشط ، وأن لا فضل لعربى على عجمى ، وأن أكرمكم عند الله أتقاكم .

إن الانسان لا يحس ببدائته كيف بدأ ، ولكنه يحس بنهايته كيف ينتهى ومن هنا نعلم أن العقيدة تقرب الينا فهم الوجود كسر من أسرار الخلق والخالق . فهى تعيش فينا ما دمنا نعيش ، وهى تنتقل من بعدنا إلى غيرنا من الابناء والاحفاد . إنها هنا عادات وتقاليد ولقاح موروث علينا أن نحتفظ به نقياً خالصاً متطوراً متمشياً مع سنن النشوء والارتقاء .

إنها تبدأ كحاسة حين يبدأ تطلعنا إلى الحياة ، فالطفل حين يميل إلى الرضاعة يدفعه إليها عامل الجوع لا عامل البقاء ، وحين تمتنع عليه الرضاعة يدفعه اليها عامل الجوع والاحساس بالحاجة إلى الغذاء ، ولا يفكر مطلقاً فى البقاء أو الفناء . وحين تتغير طريقة التغذية لسبب ما ، ينتقل الى الطريقة الجديدة بعامل الوعى ، والادراك والاحساس بالحاجة الى الغذاء . وهو فى هذه الفترة يستمد الوعى من عوامل منظورة

وغير منظورة اذ أنه لا يقدر على الحكم على النتيجة لانه يعيش لا اراديًا مدفوعًا الى الحياة دفعًا .

ومن مجموعة نزعات تتآلف مع بعضها ولا تجد ماينقضها يشكل الانسان طعامه بعد ذلك وفقًا لقدرته على الاستساغة والهضم ،والحاجة ، وهكذا تـكتمل عقيدته .

وكما وجد أصحاب العقائد فى علماء الاحياء من يقول بأن أصل الانسان أميبا فقد وجدوا فى آخرين من يقول ـ كداروين ـ أن الانسان والقرد من أصل واحد . وقد افتقر هذا الرأى برغم نظرية النشوء والارتقاء الى مايؤيده اذ لم يشر الى كيفية انقطاع الرابطة أو الصلة بين الانسان والقرد ،وكيف تحول الانسان القرد الى انسان له وعى وادراك و احساس ، وعقيدة . اذ أنه من أجل أن تستقر العقيدة يجب أن توجـد المبادىء ، ويجب أن تندمج هذه المبادىء دون تناقض ، أو كما قيل : « أن المعلوم الجديد لا يثبت في النفس الا اذا تلاقى مع معلوم قديم يكتسب منه التركز والثبوت الى جانب حيوية الجديد ، كذلك الناس جديدهم لا يفيد الا اذا ارتـكز على قديم » وهكذا أرى ـ كصاحب عقيدة ـ ان اندماج مبـدأ نظرية داروين مع نظريتى كآدمى فيها تنافر و بالتالى تناقض غير مستساغ ولا يمكن الأخذ به . اذ يستحيل أن يكون لانسان واحد عقيدتان متناقضتان فى معتقد واحد .

اننا حين نراجع كتب التاريخ نرى أن الانسان فى العصر الحجرى دأب على تخيل صور لمعتقداته كان ينقشها أحيانًا على الحجارة ثم بدأ يحفر لها التماثيل . وكان ميالا لاعتبار بعضهـا أ كثر من البعض الآخر حسب ظروفه مما يقطع بأنه كان يجرى وراء شىء لم يستطع تحديد كنهه . وقد استقر له أن الشمس ، والماء ، والهواء

والزرع وغيرها من الطبيعيات قوى لاغناء له عنها ، فعبدها على أنها ليست من صنعه هو ... ثم عبدها على أنها من صنعه هو . وكما بدأ ايمان الإنسان بما حوله ماديا كلما نشأت عنده فكرة عن شيء جعل له رمزاً — هكذا بدأت دولة الأصنام الحجرية والآلهة .. اصطنعها الانسان ، وخلفها لأعقابه . وجاء الخلفاء ، وهم لا يدرون من أمر التصورات التى تصورها أجدادهم شيئاً . فورثوا عاداتهم وتقاليدهم ، ومعتقداتهم . وهكذا كان اللقاح متوارثاً وأصبح عقيدة للأحياء الموجودين .

وبدأ الاعتقاد فى الأصنام ، والمرئيات ، والمنظورات ، يصبح محل شك الانسان ... ان هذه القوى المنظورة وهذه الأصنام المنحوتة تنقصها القدرة على التشكل حسب مقتضيات الحاجة اليها . . انها بداية النهاية لدولة الاصنام ان لم تستطع الاصنام أن تكون على الاقل كالانسان روح وجسد . ولعلها كانت بدائة فهم الانسان لنفسه على أنه إله ... فالانسان ظاهرة الحياة ، والحياة روح ، وهذه الاصنام جامدة لاتتحرك ..ولا تستطيع أن تصنع شيئاً .. انها اذاً غير جديرة بالاعتبار انها لا تتجاوب أو تتجانس معه ، وهو لا يقدر أن يستسيغ هذا الوضع .. انه يتأثر وهى لا تتأثر . . انه يستطيع أن يدفع عن نفسه البلاء ، وهى لا تقدر أن تدفع عن كيانها فى سبيل البقاء . انها صامته ، وهو يتكلم .. انها اذن محل شك فليجرب أن ينقض عليها ليرى ماهى صانعة به .. لقد حطمها فلم تقاوم .. اذا هى على لاشيء.. ان الصخور تتفتت ، وتتحول الى ذرات تنقلها الرياح من مكان الى مكان ، أما الانسان فانه يستطيع أن يبنى بيته .. أما هذه الأصنام فانها لا تستطيع أن تحمى أسوارها .. ويجب اذن أن تتحطم .. وجاء ابراهيم وحطم الأصنام التى عبدها آباؤه

وضعها أجداده ، وبدأت فى تلك اللحظات التاريخية معركة الشك واليقين . وكانت بداية الخلاص للانسانية مما صنعته بيدها .

وتبعاً لسنة النشوء والارتقاء والتطور ، اكتشف الإنسان أنه قادر . . فمن أين يستمد قدرته ؟

إن هذا الوجود لا بد له من واجد ، ولا بد للمخلوق من خالق خلقه .

وهكذا بدأ الإنسان يؤمن بالقوة غير المنظورة ثم تدرج فى الإيمان ، واعتقد بالله ...

* * *

وكان أن أرسل الله رسولا لكل قوم منهم ، وكانت مهمة الرسل حمل رسالة سماوية تتضمن مبادىء ، وأسس شرائع اجتماعية وروحية ، تتفق مع الزمان ، والمكان ، والبيئة ... وتطورت هذه الرسالات تبعاً لسنن النشوء والارتقاء . . فالموسوية اليهودية سبقت المسيحية ، والمسيحية اليهودية سبقت المحمدية الإسلامية ، وهكذا تطورت العقيدة وسارت فى طريقها إلى مئات الملايين من البشر .

وكان للعقيدة الدينية أثر فى تكوين العقائد السياسية نتيجة تفاعل الدين والمجتمع . ولم يستطع أى مذهب سياسى أن ينجو من النقد بل إن حياة المذاهب السياسية مرهونة ببقائها على المعارضة والمخالفة . وقد تعرضت العقيدة إلى إهمال رجال العلم ، والمنطق فلم يرجعوا اليها حين ضاق بهم أو حين أخفقوا مرة . بل جافوها كلية وراحوا يتنكرون ويجتهدون ، ويفسرون الدين على هواهم . وساروا فى جانب المصلحة الذاتية فانقلبت عليهم أعمالهم وذهبوا وذهبت ريحهم .

على أن العقيدة الدينية لم تسلم من الخوارج الذين استغلوا جهالة العامة ممن لم

تساعدهم ظروف الحياة على التعليم والتحصيل . فترتب على ذلك أن انحرفوا عن الجادة والصواب . و بمرور الزمن أصبحوا ضحايا للدعاة المرتجلين الذين لم يوقفهم أحد عند حد معلوم فاستمرأوا الخطأ بعد أن تكونت لهم فيه شخصية . وقد تعصب لهم العامة من الجهلاء وهم لو دققوا وفحصوا لعدلوا عن الخطأ ، ولكونهم لم يعلموا لم يعدلوا ، ولكونهم لم يعدلوا فقد أخطأوا ، وأصبح من العسير اقناعهم بالصواب .

وقد مرت العقيدة المسيحية بالكثير من الأخطاء التى ارتكبها بحسن نية مؤكدة بعض رسلها ، وسدنة رسالتها ممن ذهبوا إلى الرومان وحدثوهم عن السيد المسيح باعتباره المخلص الذى بعثه الله رحمة للناس ، وكانت العبادات عند أهل روما لا ترقى إلى أبعد من القيصر الذى كان يعتبر نفسه إلهاً .. وسرعان ما انهارت قوى الرومان وأهل بيزنطة أمام العقيدة المسيحية التى جاءت لتبقى . ثم سرعان ما بدأ الشك يدب دبيبه من جديد أمام منطق الرسالة الاسلامية التى تنزلت على الرسول العربى القرشى الذى جاء مصدقاً لما بين يدى الناس ومصححاً لعقائدهم بالوحي الآلهى المنزل . وكانت فصاحة العرب فى شوق إلى من يعجزها وكان القرآن الكريم إعجازاً و بياناً لا غموض ولا إبهام فيه ولكونه أنزل بالعربية فقد أفصح للناس فى مهد الرسل والنبيين فى المشرق ما ألتبس عليهم من فهم للغات السامية والأشورية والعبرانية واليونانية القديمة التى كتبت بها التوراة والأناجيل .

وإذ وضحت الحقائق وتصححت الوقائع واستضاءت البشرية بنور الله « الله نور السموات والأرض . مثل نوره كمشكاة فيها مصباح . المصباح فى زجاجة . الزجاجة كأنها كوكب درى . يوقد من شجرة مباركة . زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار . نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء»

وإذا تأملنا فى مدلول الآية الكريمة عند قوله تعالى : زيتونة لا شرقية ، ولا غربية ، لأدركنا الحكمة الإلهية فى جعل الأمة الإسلامية العربية أمة وسط . وقد قال تعالى : « وجعلنا كم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس » .

فإذا كانت هذه هى مشيئة الله فمن ذا الذى يعقّب على إرادته ، ومن ذا الذى يرفض حكمته وأحكامه ؟

إننا أمة وسط ... كتب علينا أن نكون أمة وسطاً ... وسنكون الأمة الوسط التى ذكرها الله فى القرآن ... إننى مؤمن بهذا وعامل له ، ومعتقد فيه ، وعقيدتى عن يقين ، لأن مجازاة العاصى ، واضطهاد البرىء كانا لهما ما يبررهما فى الماضى أما اليوم فلا مبرر لهما أبداً .

لقد خيف على المسلمين يوماً أن تحولهم العقيدة البلشفية إلى سوائم ، ولم يكن لذلك الخوف محل لأننا نعلم علم اليقين أن الحرية الفكرية فى الأسلام قد منحت البشرية حق الحياة الكريمة العزيزة ، وساوت بينهم فى حق التمتع بالدنيا . فمن أراد أن يكون له من جنات الأخرى نصيب فليعمل لآخرته فى حدود ما أوصى الله به ، ورضى عنه وهو مرسوم فى كتابه العزيز . فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . وما ربك بظلام للعبيد .

* * *

هذه عوامل اعتملت فى نفسى أرجو أن تكون خير معبر عن عقيدتى .

مقدمة في السمع والطاعة

أيها القارىء الكريم :

لعلك قد طالعت فى مقدمتى فى العقيدة ، بعضاً مما يجول بخاطرك من المعانى التى لم تطالعها فيما طالعته مما كتب من قبل فى هذا الموضوع ... ولعل لمحاتى العابرة التى أنقلها إليك ، تنفس عن صدرك بعض مايضيق به ، وتجلو عن أفكارك بعض الصدأ الذى تراكم على أمهات تفكيرنا معاً ، فضقنا بالأحداث الحادثة ، ما نسمعه عنها وما يصيبنا منها ...

فلما وجدتنى باحثاً عن الاستقرار ، والسلام الروحى متأثراً بما وصل إليه الناس من تعليل للحوادث والأحداث الجارية ، يرين عليهم الخوف والذلة ، نتيجة ما أسرفوا فيه من انحراف عن الصراط المستقيم ، واتباعهم صراط المغضوب عليهم والضالين . . . فباءوا بما اقترفته أيديهم من آثام ، وذاقوا العذاب بما احتوته قلوبهم من أحقاد لا مبرر لها ، إلا أن يستبدلوا ما أوصاهم به الله بلسان النبيين ، وما نهاهم عنه أن يفعلوه ، من شائن الفعل ، أو فحش القول ، أو سوء الظن ، أو أثم التفكير فتتملكهم الأثرة وحب الذات ، ويعتمل الحقد فى نفوسهم ، فينسيهم حب الدنيا ، ثواب الآخرة .. مما أضعف العقائد ، ورجح كفة الشر ، فمالت الموازين. فكان استمساك الإنسان بالأرض ، وحب البقاء . فلما ضاقت بهم الارض بما رحبت لفظتهم ، ثم انتقضت عليهم ، فخلفت ظنونهم ، أو انشقت وابتلعتهم .

ووجدت فى الجانب المقابل للمحاتى ، جانب النفس الانسانية التى تعمل جاهدة ، لخير الانسان وخير البشرية . فاذا بى أراها على غير ما كنت أرجو ... رأيتها تستهدف للوم وكيد الخائفين ، ثم تستهدف للقتل أو الاغتيال باسم التفسير الجديد القديم ، الذى لقرآن مسيلمه . . مع ادعاء مغرض لعين ، بأن هذا تطبيق لتعاليم المسلمين ... ولا أقول تعاليم الاسلام ، فان الإسلام برىء من أفك المؤتفكين

والمرتدين الآثمين . برىء مما يدعون .. ألا أن دعواهم باطلة ، ودفاعهم باطلة الأباطيل .

ووجدتنى تبعاً لذلك التفاوت الكبير بين قوى الخير والشر ، أقف فى مفترق الطريق . أنظر من خلال الستار الكثيف ، الشفاف .. الذى يفصلنا عن المستقبل . فاذا بى أرى المبصر المتعامى ، والعجوز المتصابى ، الضاحك بقلبه ، الباكى بعينيه ، يستدر الدمع ، وما هو فى حاجة إلى ذلك .

وأدور حولى .. فاذا بالذين نعدهم بدائيين قد سبقونا إلى التقدم والرقى والاتحاد ، وإذا نحن نتخلف ، وقافلة الزمن تسير ...

أفلا يضيق الإنسان بنفسه إذا امتلأ من الفرح أو الغم ؟ أفلا يفيض بجزء مما يؤرقه ؟ ألا تجد فى هذه اللمحات بعض أصداء تفكيرك ؟ . فتعيش معى فى هذا الأطار المرموق خط الحدود الأرضيه بيننا وبين الشرقيه ، والغربيه باعتبارنا الأمة الوسط ، التى ذكرها الله تعالى فى كتابه العزيز ؟ فاذا بالحدود المرسومه تتلاشى رويداً رويداً كما لو لم تكن أول مرة حين ترانا ننظر إلى بعيد بتعمق فيلوح لنا نصر الله آت لا ريب فيه . وإذا بالكعبة الشريفه ، تجلبنا إليها فكرة المؤتمر الاسلامى الذى سيعلن الزحف الثالث للإسلام نحو حدود الله .

لقد كثرت الحوادث والاحداث العالميه ، وأصبحت حديث الساعة بحسبان هذه الأحداث من علاماتها .. ؟ ألا يمكن أن تكون الأحداث الحادثه من علامات الساعه ، بالنسبة لمعركة الشك واليقين ، قبل أن يكون الدين كله لله ؟

إذن فقد جاء دور الإسلام مرة أخرى .. وليكن سمع ، وطاعة لولى الأمر .. ولأشرح لك أيها القارىء الكريم لمحة مما أعتقد . فقد ترى فيما أعتقده توضيحاً جديداً . وقد لا ترى فيه جدة . ولكنك على أية حال لن تضيع وقتك عبثاً .

لاخلاف فى أن السمع ، والطاعة من الكلمات ذات الدلالة المعنوية العميقة جداً ، وسواء كانت من حيث التعريف أسماء أو أفعال أو أسماء أفعال فإنها لا شك تعنى بمفهوم بسيط لا يحتمل المناقشة أنها من أقوى الكلمات بله الأوامر الملزمة الصادرة عن آمر توافرت فيه القدرة على معرفة المعلوم الغيبى .

فالآمر يرى ما لا يراه المؤتمر فى التو واللحظة . ونحن مأمورون سواء كنا نؤمن عن عقيدة أو نصدع لمشيئة نجهلها — هى على أية حال فوق إدراكنا وفوق مستوى تفكيرنا . فالمؤمن بالحياة يجب أن يكون مؤمناً بالموت . وسواء آمن بالموت أو بالحياة أو لم يؤمن بهما فإن ناموس الخلق والخليقة بسير وفق مشيئة آلهية لم يدركها العلم رغم تقدمه . وأنه لا سبيل للإنسان للتعبير عن الحياة بأكثر من ممارستها حتى يكون الموت . فتنتهى مسئوليته هوعن التعبير ، وتبقى تعبيراته ذكرى لمن سيخلفه . والسمع والطاعة فى الإسلام ، من الفرائض الموجبة الواجبة . التى أمر الله بها الرسول صلوات الله وسلامه عليه لتسلم العقيدة من أخطاء الاجتهاد والتأويل وليسلم الكتاب الذى أنزل على الرسول بالحق من اللغو والمدخول اللفظى .

إن القرآن الكريم ليزخر بالآيات البينات الدالة على أن رسالة الاسلام محفوظة فى هذا الكتاب — القرآن الكريم بدليل قوله تعالى « إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون» .

وإذا أردنا أن نتناول الذكر بالتفسير لأخذنا أولا بالمعنى أن الذكر يعود على الماضى فيذكر الانسان أحداثًا وحوادث وقعت فى الماضى ، وأن هذه الأحداث والحوادث تعبر عن المثل التى ضربها الله للناس لعلهم يتفكرون ، وأن المعلوم الغيبى

الذى لا يراه الناس ، ولا يعيشون فى زمانه أو مكانه ، يستطيعون مع ذلك أن يتصوروه حادثا فى أى زمان ومكان ، كأمر قضى الله أن يكون ، وأنه لا سبيل إلى رد القضاء لأنه لا راد لقضاء الله .

وإذا كنت أنوه هنا بآيات من الكتاب الكريم — القرآن — فلأنى أومن بما جاء فيه مصدقاً ومصححاً لما بين يدى من كتب دينية أخرى كالتوراة والاناجيل ورسائل الرسل التى يرجع تاريخ بدئها إلى ما قبل تنزيل القرآن بعشرات القرون ، والتى ما تزال للآن محل اجتهاد من الناقلين للغاتها إلى اللغة العربية على الأقل . فأنا كقارىء باللغة العربية باعتبارها لغتى أستطيع أن ألحظ على اختلاف ترجمات هذه الكتب قصوراً عن إدراك حكمة الذكر كما أنزله الله . فرجال الكنائس وزعماء المذاهب الدينية الذين تأثروا بأخلاق بيئة معينة — قد تكون أحاسيس شخصية بدليل الاتجاهات الخاصة لكل صاحب أنجيل من الأناجيل — لتبين لنا مدى اتساع أفق المجتهدين ومدى تجردهم عن الهوى أو قصور فهمهم لشرح مكنون الذكر ، أى سير الأولين .

وفى الوقت الذى أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن على الرسول الأمين ، والنبى الأمى العربى القرشى ، جاءت لغته وبيانه وبديعه إعجازاً فى اللغة والبيان ، حتى أن المتغيظين من فحول شعراء العرب الذين أخذوا عن الجاهلية فكرة خيالية تصوروها دون لمس ، قالوا عن الرسول الذى أعجزهم بيانه : أنه مجنون بعد أن وجدوا أن إطلاق كلمة شاعر عليه أقل دلالة ! ...

وفى النص على عربية القرآن الكريم فى آى الكتاب المبين ما يؤكد لنا أن الناس

اختلفوا في تلوين التعاليم ، والشرائع التى سبقت تعاليم القرآن ، وأن هذا الاختلاف يرجع إلى الأغراض التى أعمت بصائر الكارزين بالرسالة المسيحيه بعد أن أعمت بصائر المتألهين ، من قياصرة الروم والرومان ، وولاة الولايات التي حكمها الروم والرومان ، من قبل مجىء المسيح عليه السلام ، ومن بعد بعث الرسول عليه السلام .

ولا مندوحة لنا نحن العرب الناطقين باللغة العربية — سواء كنا يهوداً أو نصارى أو مسلمين من الذين آمنوا بمحمد من — الاستمساك بتعاليم القرآن لأنه الكتاب الذى أنزل بالعربيه لغتنا الأصليه . والذي لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . ولا مناص لنا من أن نصدع لقوله تعالى (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) .

وإذا كانت الطاعة مسبوقة بالإيمان فهي لا شك مسبوقة بالأمر فطاعة الله لا تتأتى إلا بعد الايمان به والايمان لا يتأتى إلا بالمعرفة ، وقد يصل الانسان إلى المعرفة بالإجتهاد فإذا ماووجه بأمر صادر اليه من لدن خالقه انتفى عامل الاجتهاد بالنسبة له بعد أن تم توكيد المعرفة بالايحاء .

وقد يكون السبيل إلى هذه المعرفة — الايحاء — من لدن من يملك الوحى والتوجيه ، وقد يكون الوصول إلى المعرفة عن طريق العلم . فإذا لم تكن وسيلة المعلم الكتاب فان الاجتهاد يصبح قاسماً مشتركا . فإذا طبقنا هذه النظرية على الكتاب الذى أنزل على الرسول وجدنا أن عامل الاجتهاد قد انتفى بالنسبة له لأن مهمته — أى مهمة الرسول ، كانت إبلاغ الناس أوامر الله .

وبما أن أوامر الله كقضائه مقدورة لكل عصر ومكان ، فى قوانين لا تصح مناقشتها ، بل لا تلزم مناقشتها ، لأن الله أودع فينا الحواس قبل العقل ، وقدرنا على

الفهم لـكى لا يتعطل العقل . فناموس الخلق دقيق الصلة بعضه ببعضه حتى أن كثيراً من الناس الذين أعياهم إدراك الظاهرات الطبعية راحوا يجتهدون فى استدرا كها من الظاهريات الطبيعية .

وقد أطلق الإسلام الحرية الفكريه للناس بعد أن وضع النصوص الشرعية وأوضح المبهمات والملتبسات ، وفرق بين الحق والباطل وخاطب الأمة الاسلامية العربية بقوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) .

وقد أجمل سبحانه وتعالى كافة العلوم التى أهّل الناس لعلمها فى الفرقان واحتفظ لذاته بعلم الساعة وبما لا يعلمه الناس من عالم الشهادة والغيب أى ما لم يروه ، وما لم يسمعوا به وفرض طاعته على الناس ، وفرض عليهم طاعة الرسول وأولى الأمر منهم . فإذا حادوا إن طوعا أو كرهاً أو عن غير قصد عن الصراط المستقيم أو حين يضطرون لأن يتخذوا من دون الله ، والرسول ، وأولى الأمر فيهم ــ الذين هم من جنسهم ، ومن أصلابهم ــ أولياء . أو حين يتعدد أولياء الأمور ، وتتنافر الأقضية ، وتخرج على ما قضى به الله ، فان رحمته سبحانه وتعالى ، تحل محل قضائه فينا مادمنا لا نشرك بعبادته إلهاً آخر .

وإذا اتخذنا الرسول ولياً شرعياً لأمر المسلمين ووجدناه قد استن لهم تقاليد حدت من حرياتهم . فانه لا يكون قد خالف أوامر الله من حيث يخاطبه بقوله ــ والخطاب يسند أيضاً إلى أولياء الأمور الشرعيين الحاليين ــ (ما أنت عليهم بوكيل) (عليك البلاغ وعلينا الحساب) إلى آخر ما جاء فى القرآن الكريم من آيات بينات تؤكد للانسان حريته فى التفكير ، وتحدد إلى حد معلوم حريته فى العمل والجهر ، حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله . وحتى لا يتقلب المسلمون على أمرهم .

فطاعة الرسول لله كانت طاعة مثالية بدليل اختياره . فاذا كان الله قد أمرنا أن نطيعه سبحانه ثم نتبع طاعته بطاعة الرسول فيما أمرنا أن نفعله أو نهانا عن فعله فانه سبحانه وتعالى ، قد قرب الينا فهم أن الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام كان مثالا يحتذى فقال فيه (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) .

أما الطاعة لولى الأمر من الناس فآتية بعد طاعة الرسول ، وطاعة الله لما أمر به الله أن يفعل ، ويكون فعله دليلا على صدوع الناس بالأمر . فإذا لم يكن ولى الأمر طائعاً لله وللرسول ، فقد انتفى أمر الطاعة بالنسبة له على المسلمين تطبيقاً للشريعة الاسلامية ، وأصبحت طاعتهم لولى الامر الذى ليس منهم ولا من عصبيتهم ، واجب فيما لا يتعارض مع أوامر الله وسنة الرسول ، أى أن يكونوا مضطرين لا باغين .

وقد كان النبى محمد صلى الله عليه وسلم مثالا عالياً فى السمع ، والطاعة ، وكانت حكمته وإدراكه ووعيه وارادته خاضعة كلها لله الواحد الذى اشترى منه نفسه كمؤمن . وتسليم الرسول لله بكل أمر صدر اليه من لدنه تعالى ، وأمانته فى التبليغ ، جعله امام السامعين، وامام الطائعين ، وسيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، وكفى أنه الموصوف من لدنه تعالى « وانك لعلى خلق عظيم » .

واذا كان المجتهدون قد اختلفوا فى جهاد الرسول فانهم لم يستطيعوا أن يعزوا اليه أنه كان ينطق عن الهوى أو أنه كان يفرق بين الناس بغير الحق . فرسالته كانت التبليغ دون اختيار.. وقد اختبر الله ايمانه قبل أن ينزل عليه الوحى وقد صدع الرسول لما أمر به واتبع ما أوحى اليه وتوكل على الله .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم الى جانب اعتزازه بكرامته اعتزازا لم يعرف عن رجل قبله حتى أنزل الله عليه الآية (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) و (أنتم الأعلون ان

كنتم مؤمنين)فان انكار الرسول لذاته بالنسبة لله كان مثالياً .

ولقد تجلت عبقرية محمد على أصحابه ممن اهتدوا ، وعلى أعدائه ممن حاربوه ، وكانوا من أقرب الناس اليه رحماً وقبيلة . فلم يكن محمداً رجلا يعادى لشخصه . فلم يأخذ عليه أحد أنه حابى أحداً فهو لم يعرف المحاباة حتى مع فلذات كبده، وان كانت عاطفته قد غلبته فى حب عائشة رضى الله عنها فهو لم يخرج على حدود طاعة الله فيما يملكه من القدرة على الفعل أى على الطاعة . « اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تؤاخذنى فيما لا أملك »

ومع أنه كان ممتلئاً بالعاطفة امتلاءه بالايمان فإنه كان شديد الحرص على نفسه بالمؤمنين رؤوفاً رحيما . فإذا كانت العرب تعتبر أن فى أفعال الرسول إقراراً لمبدأ السلام ، والتجرد عن الهوى ، فقد قال عليه أفضل الصلاة والسلام : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

عاش فى جدب الحياة وشظف العيش، مرتاح الضمير، غنى النفس ممتلئاً بالروح امتلاءه بالعزة والايمان . وذهب فى زهده ، وتقشفه ، وتعويد الناس هذا الزهد ، أن وضع سنة حكيمة عرف بها هو وقومه حين قال : « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، واذا أكلنا لا نشبع » ، واذا كنا نأخذ هذا القول كحكمة من حكم الرسول فاننا لا شك نحب أن نستزيد من فهمها فنقول أن وراء هذه الحكمة حكما كثيرة تتناول الحاسة كما تتناول الحاجة . فهو حين يصبر على الطعام حتى يجوع فإنه إنما يفعل ذلك بحاسته ... إن جائعاً قد يطرق الباب فى أية لحظة ، فليجد ما يأكله ... وإذا كنا نصنع نحن ذلك حتى لا نتخم فإننا إنما نعمل بحاسة الطبيعة والطبع معاً ، لنهيئ الجسد لنشاطه المعتاد .

فنحن لا نأكل حتى نجوع ، أى إلى أن نهضم ما أكلناه ، وأن نصرف ماهضمناه . وإذا أكلنا لا نشبع .. لأننا نجوع دائما فنأكل . وإذا عزونا إلى الأكل معنى الطعام فان الجسد يتغذى بما يأكله الانسان عن طريق الفم أو عن طريق الحقن . ولكن أفكاره وعقله إنما تتغذى عن طريق الادراك . وأنه إذا تغذى الانسان عن طريق الادراك ، فإنما يتغذى الانسان العاقل لا الانسان الحيوان . وبما أن الدين هو العقل فإن الانسان لايشبع من الدين لأنه دائماً بسبيل البحث عن الغيب الذى ليس له به علم .

ولم يقعد الاسلام العقل عن أن يجاهر بالجهاد فى سبيل اقرار فكرة عن عقيدة أكملت للعقل شرعته فأصبح ديناً . لذلك، لم تغر الدنيا الرسول بزخرفها ، فتواضع لله. وارتضى أن يكون مجاهداً فى سبيله . ولم يقعده عن الجهاد اجتهاد . فسلمت عقيدته من الشك. وأصبحت يقيناً آمن به ودعا اليه بالموعظة الحسنة. فكان بحق، الرسول الأمين . ولم يلق أصحاب العقائد المكتوبة ممن كانوا يعيشون فى زمن الرسول — الزمن الذى عاش فيه بينهم — اضطهاداً . بل على العكس ، فقد أبان لهم أن الاسلام رحب الصدر ، وأنه يشيع المساواة بين الناس كأسنان المشط.

فاذا قلنا بأن العقيدة الاسلامية قامت على السمع والطاعة لله من الرسول أولا فانها قامت لذلك . لكى يسلم الكتاب من خطأ الاجتهاد الذى صاحب العقيدة المسيحية لما تناقلها التلاميذ ، واستقلوا بفهم مدلولاتها فأبلغوها للناس حيناً على أنها رسالة ابن الانسان ، وحيناً على أنها رسالة ابن الله حتى جاء الاسلام بالمعتقد الصحيح فنفى أن لله ولداً فى الوقت الذى قرر بأن لله ما فى السموات ، وما فى الأرض ، وما بينهما

وما حولها. مما اضطر رجال الكنيسة إلى تعديل تعاليمهم فأنشأوا تفسيراً افتراضياً لله الواحد، وقالوا بأن الله ثلاثة أقانيم هى : الآب ، والابن، والروح القدس .. وكأنهم قد شق عليهم أن يتطور الخلق فيعرفون الله دفعة واحدة . وأن لا واسطة ولا موسوط بين الانسان والخالق . ولا تخفى الحكمة من ذلك الذى ارتأوه متمشياً مع منطق طبعهم وطبيعتهم ، فانهم كانوا يعيشون فى عصر العجائب أى العصر الذى سبق عصر العلم ، وسبق عصر الهدى .

الا أن حكمة تنزيل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ، لم تعد تخلو من معنى فان الكتاب الذى جاء به قد تجلى فيه اعجاز وايجاز اللغة . وشمول المعانى للأزمنة الثلاث. الماضى كذكر . والحاضر كقرينة . والمستقبل كبرهان . وقد تجلت أمانة الرسول فى تأدية الرسالة ، و بدت واضحة فى الابهام الذى أوضحته الكلمات المنقوصة التى جاءت فى أوائل بعض السور . والتى قال عنها المفسرون والمجتهدون أنها قسم ، وأنها بجمع الجمّل تساوى لفظ جلالة . فهي على أية حال تعبر عن أمانة الرسول فى الأداء .. إذ لم يزد عليها حرفاً يحركها إلى كلمات مألوفة . فظلت من أسرار الله حسبما وردت . وهي فى اعتقادى قد جاوزت حدود الألفاظ والمعانى ، وستبقى الى يوم الدين حيث تعلم كل نفس ما لها . الا أنه امتحان للرسول اجتازه بنجاح فائق ، ودون وجل أو خوف . فما كان عليه أن يزيد على ما أنزل الله . ولم يدفعه الزهو ، ولم تأخذه العزة بالاثم ، فيجتهد فيما ليس له به علم . ولم يكن لورود هذه الكلمات فى الكتاب على الصورة التى جاءت بها ، ما يجعل صدر الرسول يضيق بها و بنقد الشعراء والبلغاء من العرب ، لأنه انما كان ينفذ أوامر الله التى جاءته عن طريق الوحي ، مستمعاً طائعاً .

وهكذا صار السمع والطاعة ، معجزة الرسول الكبرى .. وعلى السمع والطاعة قام الاسلام . وأصبحت القاعدة : أن يأخذ أوليــاء الأمور عن الرسول ما أمر الله أن يأخذوه ، وأن ينتهوا عما نهى عنه ، متمثلين بالرسول الكريم . وأصبح لزاماً على على أولياء الامور أن يرجعوا فيما يأمرون به الناس الى الفريضة ، والسنة .

* * *

إن أوائل المؤمنين والصحابة رضى الله عنهم جميعاً كانوا كلما اختلفوا فى أمر رجعوا الى الرسول ، فلما اختاره الله الى رفقته بعد أن أدى مهمته ، لجأ المستفسرون والأئمة الى الفرض والسنة . وحاولوا ما وسعوا أن ينهلوا من اليسر ما استطاعوا . فمن وقف منهم عند حد ، ولم يطمئن الى أنه أجاب ، أو أصاب ، اختتم بحثه بقوله الله أعلم . وكان منهم من حالت بينه وبين التطور الفكرى عادات وتقاليد ، وظروف حالت دون الانطلاق بالعقيدة الى الهدف الذى رسمه الله فى كتابه . . . حد الله الصراط المستقيم .

وتعطلت السنن والفروض بعد الخلفاء الراشــدون . ويسر بعض ولاة أمور المسلمين لأنفسهم من متاع الدنيا ما أنساهم عذاب الآخرة . وتمادوا فى نهم النعم حتى أصبحوا مضرب الأمثال في الزهو والبذخ . . . ووقف العلماء الجامدون عنـد علمهم خوفاً على الرسالة أن يتلقفها الماجنون من حكام الارض الذين اختـاروا الدنيا دار بقاء .

وسار العرب المسلمون فى ركب الحضـارة ، واتجهوا غرباً وشمالا وشرقاً وجنوباً ، وفتحوا الأمصار .. وبلغ من فتوحهم وتوسعهم ، أن انقطعت الصلات بين بعضهم البعض .

وتعددت لهجاتهم وأماراتهم وولاياتهم . وكثر المنادون بالاستقلال بينهم ، فتفككت وحدتهم ، وأصبحوا ، وهم أقليات متفرقة ، عبيداً للمحتلين والمستعمرين ، الذين انقضوا عليهم من شواطئ أوربا أو من أدغال آسيا ، ودقوا بين كل برزخين اثنين أسفينا ...

ولم يفطن العلماء وسدنة الرسالة إلى أنهم يسيرون فى طريق الاضمحلال . فتدخل اليهود ، والنصارى والوثنيون ، كل منهم يبغى إقرار وجهة نظره ... فاختلطت المثل العربية بالأعجمية ووقف المسلمون فى وجه القائلين بترجمة القرآن إلى اللغات بينما لم يعق هذا الهنود والأوربيين عن اختيار ما يناسبهم من المترجمين . هادفين إلى إقرار عقائدهم متحدين علماء الاسلام ، القائلين بعدم ترجمة القرآن .

ولعل للعرب المسلمين عذرهم إذ خشوا أن ينتشر الاسلام فى العالم فيؤمن به السواد الأعظم من شعب أوربا (الغرب) ، وشعب آسيا (الشرق) ، فيصبح العرب المسلمون أقليه يحكمها الأعاجم والافرنج باسم الدين ...

وانقضت أزمنة ... ودالت دول .. وظلت العقيدة الاسلامية كما نزلت على محمد ابن عبد الله محصلة فى الكتاب المبين .. القرآن ...

* * *

وبينما كان العلماء والمفكرون فى أوربا يهيئون الأذهان لفلسفات وعقائد جديده ... كان العرب يغطون فى نوم عميق لا يوقظهم إلا غذاء الجسد ... وجودية بهيمية تعيش لتشبع غريزتها ، كأن الدين لم يصبح شرعة العقل .

فإذا راحت السكرة وجاءت الفكرة ، عادوا إلى الكتاب ... القرآن ... ينشدون تفسيراً لاحلامهم ، وارتواء لظمئهم .

وتشاء الحكمة الإلهية أن تهديهم ..! ففي كل مرة يقرأون فيها القرآن يجدون أنهم كانوا متخلفين... فالافرنج، والهنود، والمغول، والروم، والزنوج، والصينيون يتقدمونهم، ويظلون هم في المؤخرة ... ماذا عليهم إذا اندمجوا ليرشفوا من مناهل هؤلاء الاغراب؟ لعل في علومهم ما يفسر الاحلام، ويحقق المآرب ..!

وفي الوقت الذى كان العرب يبحثون عن ميسرات وجودية، تهضمها تعاليم الاسلام، كان الفلاسفة من اليهود، والنصارى، والملحدين، يبحثون عن آفاق جديدة لعالمهم الذى حدده القرآن بالحياة الدنيا .. وهكذا تاهت الحقيقة بين المسلمين، والاعاجم، وأصبحت الامور اجتهاداً للانتهازيين والماجورين. وانكفأ الغطاء، وراح كل منهم يعمل في الخفاء .. وراح المتأرجحون بين هؤلاء وأولئك، ينبذون الأصول الواضحة وينشرون الكتب والتعاليم التى أبلغت لهم أو سمعوا بها عن العقائد والديانات، فأنشأ اجتهادهم وابتكارهم مذهب الكلاميين، والسفسطائية. وقنع رجال المسيحية، والاسلام من العرب بالانطواء والانزواء والتأمل. واستمرأ الحكام الدنيويون سكوت رجال الدين فنشروا عقائدهم الاقتصادية، والاجتماعية. فلما قامت الشيوعية في روسيا دقت الكنيسة نواقيس الحزن، وراجت تصب اللعنات على أعداء الكنيسة بدلا من أن تتنبه لاجتثات جذور الخطأ والخطيئة، التى كان يعيش فيها راسبوتين ... إن راهباً واحداً فسق في روسيا ألب شعباً من مائتى مليون على الكنيسة، ولم تستطع الكنيسة أن تنشىء فرقة واحدة للدفاع عنها ..

إن الشيوعية المعروفة حالياً هي التى نبتت في روسيا منذ عهد فلاديمير الملاك أو

القديس كما كانوا يسمونه — أول من تنصر من أمراء الروس . وهو ابن سوفيا توسلاف . أول من تعرض للاقطاعيين منتقداً تصرفهم . إذ كانوا قد جعلوا من أرض روسيا مزرعة للرجال يربونهم حتى سن المراهقة ثم يبيعونهم للعرب ، ولغيرهم من الدول المجاورة لقاء مبادلة عينية كأقراط النساء والأساور والقلادات وبكمية من اللوز ، والجوز أو القصدير أو الرصاص . وكان ذلك بعد ظهور المسيحية بـ ٩٧٠ سنة وبعد محمد بثلاثمائة عام .

ولو قلبنا صفحات التاريخ لما اتهمنا علماء الاسلام ، وفقهاءه فى القرن الثالث للهجرة بالانحراف فى ثقافة القرآن نحو الفلسفة اليونانية القديمة أو الفلسفة الرومانية اللاتينية أو الفلسفة الهندية أو الصينية . فقد كان الفقهاء فى ذلك العهد أمناء على الرسالة لدرجة الغلو . إن دعوة شعب للاسلام كالشعب الروسى لاغنى له عن الخمر باعتبارها مورداً للتدفئة مسألة تحتاج للبحث الدقيق .. فبلاد الروس واقع معظمها فى المنطقة المتجمدة الشمالية ولا غنى للناس هناك عن شرب الخمر ، وأكل لحم الخنزير . لأن القيم الحرارية والبروتينية التى يحتويها هذا اللحم بل هذا الشحم تفوق بمراحل قيم لحوم الأنعام على إطلاقها . فالبعثة التى اتجهت إلى الروس لم تقدر أن تقنع فلاديمير باعتناق الاسلام بدلا من النصرانية التى أقبل عليها الروس بعد أن اطمأنوا إلى قول رسول قسطنطين مطران القسطنطينية حاضرة حكم الروم : « إن ما يدخل الفم لا ينجس الإنسان، ولكن الذى يخرج منه » . « وان قليلا من الخمر يفرح قلب الانسان » . وهذا القول ليس من اختراع الأسقف . بل هو تعبير فى الأناجيل والتوراة ورد على لسان السيد المسيح وداود النبى ، كتعليم يراد به إصلاح الذات الانسانية ، وتطهيرها حتى لا تنضح سوءاً . وهو تعبير على حد قول الديبلوماسيين « ملفوف » .

وقد نعتبره نحن تعبيراً معقداً لأنه مبنى على نقص فى الطبيعة يراد استكماله على صورة ما قد تكون الخمر وقد يكون لحم الخنزير، وقد لا يكون لا هذه ولا تلك . ولكنه نقص فى العلم . إذ لم يكن الناس فى ذلك الوقت قد توصلوا بعد إلى عقاقير طبية تساعد الإنسان على الاستزادة من قيم حرارية غير مشكوك فى حلالها أو حرامها . ومع ذلك ، فإنى لا أرى أن العرب الذين أسلموا فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبعدها إلى الآن ... قد كفوا عن تعاطى الخمر رغم أن بلادهم واقعة فى المنطقتين المعتدلة الشمالية ، ومنطقة خط الاستواء . أى أن حاجتهم إلى الخمر تختلف عن حاجة الروس لها .

وقد جرى العرف عند كافة الشعوب على اعتبار الخمر مسكراً . وأن الاسلام حين يحرمها فان المسيحية واليهودية لا تحلها . وإذا قال الاسلام بتجنب الخمر لأنها رجس من عمل الشيطان . فإن المسيحية واليهودية لم تقل بنفعها ...

ولا خلاف أن كل الشرائع تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى . ومع ذلك نرى أن الشعوب لا تربط بين العقيدة فى ممارستها بعامل الخوف من الله بقدر ما تربط بعامل الخوف من الحكومة التى هى على أية حال السلطة الظاهرية المباشرة. كما هو الحال فى المملكة العربية السعودية ، حيث لا يزال الاسلام قائماً على السمع والطاعة .

أما فيما عدا ذلك من الممالك، والجمهوريات ، والمستعمرات ، فإن القوانين الوضعية قد أهملت كل ما يتعلق بالدين والشريعة ، حتى أنك لتقرأ القانون فلا تجد اسم الله مذكوراً فيه إلا عرضاً .

وما دامت الأحكام تصدر باسم الملك أو باسم الحكومة . فإن السمع والطاعة لولى

الأمر قد تحدد فى القانون الوضعى ، وأصبح الاحتيال فى تفادى القانون متعادلا تعادلا عكسياً مع الجهاد في سبيل نشر عقيدة سماوية .

وقد يطغى القانون الوضعى فيحد من حرية الناس في ممارسة العقائد — كما حدث فى روسيا فى العشرين سنة الأخيرة — أي بعد أن مرت بفترة اختبار متساوية تقريباً ، ولم تنجح فى اخماد صوت الله ، أو صوت العقيدة . وكانت هذه الفترة الأخيرة — أى فترة العشرين سنة الماضية من سنة ١٩٣٥ إلى سنة ١٩٥٥ هى أزهى عصور العلم فى التاريخ الحديث . فقد توصل العلم إلى اختراع أحدث ، وأخطر سلاح مدمر للكون . . القنبلة الذرية . . ومع ذلك فقد انتصرت العقيدة مرة أخرى على العلم وعلى الناس حين تساءل زعماء الشعوب عما ستكون عليه النتيجة إذا ما أصابتهم حمى الكفر بالنعمة فأريقت الدماء ، ونسفت المعمورة ، وضاعت آثار المدنية ... وما هو المقابل الذى سيحصل عليه الانسان ثمناً لدمه ، ليريقه على مذابح شهوات الحكام ؟ وبدأ الزعماء السياسيون يفقدون ثقة الناس بهم ... ثقة الجماعات الدينية ، والجماعات العمالية التى كثرت مطالبها فى الآونة الأخيرة . . أما العلماء فقد كرسوا جهودهم للعلم والمخترعات ، متجاهلين ما سيجره علمهم من خوف على الناس . وإذا كان الدافع لاختراع الآلات فى يوم من الايام هو زيادة الانتاج ، وتهذيبه — أى أن يتخذ شكلا واحداً على تعدد أشكاله ، فان تطور الصناعات ، والمخترعات برغم زيادة عدد المنتفعين بها ، والمستهلكين لها ، قد أنشأ أزمات اقتصادية خطيرة فى ظروف متعددة مريبة بسبب تحول تفكير أصحاب رؤوس الاموال إلى زيادة رؤوس أموالهم دون ما نظر أو اعتبار للعواقب . فقد كان المفروض ألا تزيد كمية السلع المعروضة على الطلب حتى لا تتعطل الايدى العاملة مرة أخرى بسبب الانتاج الآلى المتزايد عن الحاجة

أو على الاقل كان يجب أن يرافق ظهور ظاهرات الازمات المنسببه عن زيادة الانتاج ، البحث عن مواطن جديدة لتصريف المنتجات .وقد يكون هذا قد حدث . ولكن الطاعة للقانون الوضعي فى كل دولة من الدول — كالحوائل الجمركيه وقوانين العملة والاكتفاء الذاتى — حال دون انتفاع الشعوب بثمار العلم لان رأس المال كان يسيطر على إرادة الناس سواء كانوا من أصحاب رؤوس الاموال أنفسهم أو من الخاضعين لأوامر الدولة التى يسيطر عليها أصحاب رؤوس الاموال. مما ألجأ العمال الى وسائل العنف لاقرار حقوقهم . بعد أن علمهم رأس المال درساً فى الجبن لاقبل للعمال بتطبيقه عملياً إلا بالاضراب والحركات العنيفه .

ولم يكن رجال الدين فى أى جهة من العالم ، يملكون الوسائل المادية لاخضاع الحكومات للحدود الشرعية ، وارضاء الجماعات التى تعيش فى الواقع المجرد ، فقد قامت جماعات جديدة من بين الانسانيين تعمل على تهيئة الوسائل ، واستنباط الطرق المؤدية إلى إيجاد مجتمع أفضل عن طريق التعاون الاجتماعى مما أفقد رجال الدين صولتهم التى كانت لهم فى الايام السالفه ... ولعل نابوليون بونابرت كان من الأسباب المباشرة فى تقلص المسيحية اللاتينية فى أوربا التى كانت خاضعة لبابا روما أو أضعافها ، من حيث تزهيد الناس بها . ونشوء مذاهب مسيحية جديدة أخذ معظمها عن البروتستانتية ، التى تزعمها مارتن لوثر ... الذى تجلت فلسفته بالتطور بالمسيحيه ، الى نبذ التماثيل ، والاصنام ، (الايقونات ، وما شاكلها ، وصور القديسين) من الكنائس . وفى إزالة الصلبان عن قبابها وهى تكاد فى وضعها أن تخاطب السماء متحدية أن ترسل للناس مخلصاً آخر .. !

وقد ألغى مارتن لوثر كرسي الاعتراف من طقوس الكنيسه ، ولكنه أقام مقامه

جماعات التبشير السريه ، التى تحاول بعلم النفس الاجتماعى اصلاح المجتمع دون ما نظر إلى تسلسل عصبى . وهكذا اندمجت مصالح أقوام مع أقوام أخرى ،ونشأت المجتمعات المتعارضه التى يعادى فيها الاخ أخاه باسم الخير والانسانيه . وخيل لدعاة البروتستانتية على اختلاف مذاهبهم ، أن عجلة الشر قد توقفت ، أو على الأقل قد تعطلت قليلا . وزاد ميل الناس إلى التكتل الذى خدعتهم ظواهره وأصبحت الحياة بالنسبة لهم تجربة مرة . فراحوا يبتدعون وسائل للتسليه فكانت الوجوديه السارتريه التى ضربت بتعاليم الكنيسه عرض الحائط وقالت بأن الانسان سيد نفسه ، وأنه حريته !

ومثلما تأثرت المسيحية الكاثوليكية — اللاتينية — بما حدث فى فرنسا إبان ثورتها ، وكما لا تزال آثاره تظهر للآن ، كذلك تأثرت الأرثوذكسية التى كانت قاعدتها موسكو بأعمال راسبوتين ، وحماية القيصرله . فنشأ النظام البلشفى أو الشيوعى الذى ألغى الطقوس الدينية والكنائس على إطلاقها ، ليقيم مكانها عقيدة اقتصادية تدور حول أن الناس لا يأكلون الله . بل يأكلون الخبز واللحم والبقول ، ولا يشربون الملائكة والقديسين والرسل . ولكن يشربون اللبن والماء والخمر .

وفى الوقت الذى كان يجرى هذا فى قلب أوربا وشرقها وغربها ، كان العالم الاسلامى يعيش فى ظل الاستعمار الذى لم تكن تعنيه العقائد السماوية ، بقدر ما كانت تعنيه مصلحة شعوبه الاقتصادية .

وانبرى من بين المسلمين مجاهد آمن بالله و بالرسول و بعصبيته ، فراح يعمل فى دأب واجتهاد ليخلص الجزيرة العربية من الانحلالية التى بدأت تدب فى أوصالها بعد أن وهنت قوة الخلافة الاسلامية فى تركيا فاستطاع بجهد جبار أن يسيطر على الارض المقدسة ويقطع دابر الوصوليين منها . ذلك هو المغفور له الملك عبد العزيز بن

عبد الرحمن آل سعود الذى قال عنه المؤرخ الألمانى الكبير دا كوبرت فون ميكوش فى فصل من كتابه « عبد العزيز » تحت عنوان (الاخوان) : « أنه يحكم بلادا واسعة مترامية الاطراف ، ولكنها مجموعة من السكان واهية الصلات لا تربطها سوى شخصية الامير وحده ، وليس لها غير ذلك ما يعصمها من الانهيار ... إنه صاحب قوة ليست بذات معنى إلا إذا كانت وسيلة لا غاية لتحقيق ما يعتلج فى صدره من أمانى ، وآمال . فقد وضع الحجر الاساسى فى صرح الدولة ، فوطد الامن وأشاع العدل ، مركزاً ذلك كله على أساس غير ثابت من الرهبه ، والخشية من العقاب الصارم ، وفرض احترام الانظمه والقوانين على الرعية فرضا ، بغير أسس ثابتة الدعائم راسخة الجذور تضمن استمرار جهاز الدولة فى تأدية مهماته فى حالة تراخى الكماشة الحديدية التى يضغط عليها بن سعود بقبضته الصارمه ، والتى هى إن تراخت لاى سبب من الاسباب — والبقاء لله وحده — فمن المحتمل كل الاحتمال أن يتداعى البناء وتسود الفوضى ، وينهار كل شىء .

ولتلك النهاية المؤسفه سوابق متكررة فى تاريخ العرب ، فسرعان ما تنهار دولهم بعد قليل من ذهاب مؤسسها بجيل أو جيلين ، مما أشاع الرأى بأن العربى يفتقر على الدوام إلى العقلية البناءة ، شأنه فى ذلك شأن رمال صحرائه المتقلبه مع هبوب الرياح ...

والوهابيه نفسها لم تعد ضمانًا كافيًا لذلك فأصبحت محدودة التأثير فى النفوس ، ولم تعد تعاليمها إلا مجرد عقيدة رمزيه يؤدى الوهابيون شعائرها تأدية فيها من المظاهر أكثر مما فيها من الايمان الصادق ... فقد أيقظت العربى فى بدء ظهورها يقظة عابرة وخبت نارها فى نفسه بعد ذلك بسرعة ليعود إلى سيرته الفوضوية الاولى .

وعجزت الرابطه الدينيه عن الحلول فى تفكيره محل العصبية القبليه ، اليد المانع في وجه تكوين وحدة الدولة ، والتى كانت تحول دون اعتراف القبيلة بسلطة عليها تفرض نظاماً واحداً على الجميع . وكان سكان الجزيرة يرون في ضمان وسائل عيشهم والمحافظة عليها، المعنى الوحيد لقيام رابطة داخل كل قبيله تميل مع الظروف ، وحيث تجد أن مصلحتها أضمن وأوفى . ومن هنا كان بسبب تقلبهم على حكامهم الذى يصل فى كثير من الأحيان إلى درجة الخيانة دون أن يشعروا هم أنفسهم بأنهم يقومون بعمل قد يوصف بعدم الوفا. ... وقد خبر بن سعود ذلك كله خبرة كافيه فكثيراً ما كانت إحدى القبائل تحارب إلى جانبه ثم تعود لتحارب في صفوف أعدائه ، وتتخلى عنه ، حتى فى أبان المعركة متى لاحت لها المصلحة الخاصة فى انقلابها ولاحت لها في الصف الثانى غنيمة أوفي ، وخطر أقل . ولم يكن بالمستطاع ضمان استمرار وفاء زعماء القبائل ، والمتنفذين فيها إلا بالقوة المرهبة أو الهبات ، والأعطيات . فهل يصح، أو هل يمكن اعتماد هذه الأساليب أساساً لبناء دولة صحيحة ؟ وتساءل بن سعود بكثير من التمحيص عن أسباب فشل الدولة فى البلاد العربية ، فاسترجع أخطاء الحاكمين السالفين، حتى تكوّن لديه منهاج عظيم اتضحت تفاصيله تدريجياً في ذهنه ، وجاء ثمرة تفكير طويل عميق .

وأدرك أن حياة البداوة غير المستقرة هى العائق الأساسى لمهمته ، ورأى أن عليه وضع قواعد انقلابيه جديدة للحياة فى الصحراء العربية قوامها أن يصبح للبدو الرحل موطن مستقر ، وسقف ثابت يعيش المرء فى ظله ، فيبيع لهذه الغاية جماله ، ويتخلى عن خيمته الجوابة السوداء المنسوجة من وبر الماعز ، لينصرف إلى زراعة الأرض .. أي أن منهاج بن سعود كان بعبارة موجزة تحضير البدو بما يتطلبه ذلك من تحول في

حياة البلاد الاقتصادية والاجتماعية ليصبح ذلك التحول بالتالى ، وسيلة لا غاية تحرر البدوى من عشائريته التى يدين بها كرابطة وحيدة تربطه بأبناء عشيرته دون سواهم من المواطنين على أن تحل محلها رابطة وطنية شاملة أساسها وحدة العقيدة الدينية الوهابية بالدرجة الأولى — ومن ثم الفكرة القوميه.

ذلك لأن العربي كان ومازال تحسسه بالدين أقوى بكثير من تحسسه بالشعور القومى . الامر الذى غاب فى ذلك الحين عن دعاة القومية العربية فى سوريا ، والعراق ، أو هم تجاهلوه بغية اكتساب العناصر غير المسلمة إلى حركتهم ، ومادامت للوهابية كل مميزات الوقاية من تسرب النفوذ الأوربى فقد كانت الدعامة التى ارتكز عليها بن سعود لتشييد دولته الجديدة . . . ومن هنا برزت حركة — « الاخوان » — إخوان التوحيد — التى هى ، ولا شك من أعظم ماابتدعه ذهن بن سعود الجبار فى حركته التجدديه . وقد وضع لها منهاجا دقيقاً بعد إعمال الرويه ثم باشر التنفيذ ...»

* * *

فى أطراف مقاطعة القصيم ، وعلى الطريق الممتدة من الكويت إلى « بريدة » تقوم منطقه منعزلة مهجورة تسمى « الارطاويه » ليس فيها سوى عدد قليل من الآبار ، تمر بها القبائل الرحل فى فترات معينه لرعي مواشيها ، وتطرقها قوافل التجارة أو المسافرين للتزود بالمياه ، ولم يكن فيها عدا تلك الآبار و بضع من أشجار النخيل حولها أى أثر من آثار الحياة ، وكانت هذه البقعه من الجزيرة هى التى وقع عليها اختيار ابن سعود لتجربته الأولى فى عملية تحضير البدو وتوطينهم ، فجاء أفراد من عشيرة « مطير » المجاورة وغيرهم من بدو العشائر الأخرى يعلنون استعدادهم للاستيطان فى الأرطاوية لتأسيس أول بلدة فيها ، واشترك معهم عدد من الفلاحين من سكان الغرب تولوا تدريب البدو على الأعمال الزراعية فى الأراضى التى وزعها

عليهم ابن سعود بنفسه كما حدد نظاماً لتوزيع المياه وقدم لكل منهم بندقية وعتاداً ونظم لهم سجلا للنفوس على أن يلبوا نداءه متى دعا داعي الجهاد إلى القتال وهكذا أسست أول بلدة تجمع خليطاً من مختلف القبائل تربط بينهم رابطة التوحيد جوهر العقيدة الوهابية ، ومن بعد رابطة الولاء للدولة ولأمير البلاد . وكانوا يسمون كل بلدة أنشئت على ذلك الشكل « هجرا » و بفضل جهود ابن سعود أخذ عددها يتكاثر فيرتفع بين الحين و الحين فى بقعة من الأرطاوية أول ما يرتفع بناء المسجد. ثم تبنى حوله البيوت من الطين المجفف فيستقر فيها البدو الرحل لأول مرة فى حياتهم منذ مئات السنين منصرفين إلى الزراعة وجنى ثمرات الأرض فى نطاق من التنظيم الذى أوجده ابن سعود . وقد زاد فى نجاح المشروع وتكاثر «الهجر» إن كثيرين من البدو قد ملوا حياة التنقل وفقدت كل لذة بالنسبة إليهم بعد أن حرم ابن سعود الغزو وأصبح ذلك فى عداد المخالفات التى تقع تحت طائلة القانون فوجدوا فى حياة الهجر ما يروى ظمأهم إلى العمل وحب المغامرة ، بالولاء لعقيدة التوحيد ، والجهاد فى سبيلها والإخلاص المتناهى للأمير الحاكم فإذا بأبناء الصحراء الذين لم يدينوا حتى الآن بالولاء لأية سلطة إلا سلطة المصلحة الخاصة موالين لفكرة الجهاد من أجل عقيدتهم يسمون أنفسهم أبناء التوحيد ، إخوان من أطاع الله ، ولعل تسمية موطنهم الجديد فى الأرطاوية بالهجر مشتقة من كلمة هجرة ... هجرة القبيلة والانفكاك من رابطتها أفرادا و جماعات ليصبحوا أعضاء فى جماعة جديدة كان عليها أن تنمو ، وتتسع حتى تشمل الشعب بأسره .

حقق ابن سعود القسم الأول من منهاجه فى العام ١٩١٢ ، ولكنه لم يلبث بعد قليل أن جابه بعض صعوبات غير منتظرة ، فان المهاجرين أخذوا يشعرون بأنهم جند الله

قبل أن يكونوا جند ابن سعود ، ويتحمسون للجهاد فى سبيل العقيدة الدينية أكثر من تحمسهم لواجباتهم الدنيويه فى زراعة الأرض وعوضا عن ذلك كانوا يظلون فى أيام السلم عاطلين عن العمل منصرفين الى الصلاة وحدها ، تاركين للنساء مهمة العنايه بالزراعة بل أصبحوا يعتقدون أن كسب المادة شيء يجب أن يحتقره المؤمن الصادق ، فيظل فقيرا متقشفا ، زاهدا ، وهى نتيجة لا تنسجم فى شيء مع ما توخاه ابن سعود اذ توخى أن تكتفي « الهجر » نفسها بنفسها مما تنتجه فلا تكون عالة على الدولة بل مثلا يحتذى لبقية السكان لما يمكن أن يسفر عنه الجد والنشاط من فوائد ويحفز الآخرين على هجر حياة البداوة والمساهمة فى الانتاج .

ولم يكن ثمة بد من الالتجاء الى علماء الدين لتحكيمهم فى صحة اجتهاد الاخوان فافتوا بعد مراجعة الكتاب المقدس-القرآن- وجميع االاحاديث النبوية الشريفة بأن ليس فى كسب المادة ما يتنافى مع الشرع بل العكس هو الصحيح فان مؤمنا غنيا خير من مؤمن فقير . حتى أن أبا بكر الصديق كرم الله وجهه لم يحتقر المادة بل كان يملك ثمانية آلاف من الأفراس والجياد والجمال . وحيال هذه الفتوى وحدها كان يمكن اقناع الأخوان بالاقلاع عن خطتهم الاولى والتخلى عن البطالة والجد فى جنى الثروة من جوف الأرض فازدهرت « الهجر » وتكاثف سكان « الأرطاوية » الى ان زاد عددهم على العشرة آلاف ، حتى ان الثائر المشهور فيصل آل الدويش رئيس عشيرة مطير بالذات عقد لواء الصلح مع ابن سعود وانضم متحمسا الى حركة الاخون ، بعد أن كان عامل هدم وعنصر دائم الثورة فقدر له ابن سعود وفاءه فولاه على الأرطاوية بكاملها ولكن الدويش أبدى فى مهمته الجديدة ضروبا من العناد والجموح ، والطموح المتأثر فيه الى السيطرة ، بحيث

اوشك فيما بعد على أن يطيح بكل ما بناه ابن سعود . وشجعت الاختبارات الناجحة فى الارطاوية ابن سعود على مواصلة توطين البدو فقامت « الهجر » فى أماكن مختلفة من أمارته فى الغطغط ، والدكناء والدهنية ، والمبيد ، والسجيروغيرها إلى أن بلغ عددها السبعين فى الحرب العالمية الأولى وخطا بذلك خطوة واسعة فى طريق التغلب على النزعات القبليه ، وتحقيق الوحدة القومية فأصبحت لبناء الدولة أسسه المتينة من أحقاق الحق و إشاعةالعدل ، واحترام سلطة القانون . وكانت خطوته الثانية الاحتفاظ بقوة مساحة دائمة لاستخدامها عندالضرورة ولما كانت بلاده فقيرة تعجز عن الانفاق على جيش منظم فقد وجد فى الاخوان بغيته وجيشه المسلح الذى يدين له بعد الله بالزعامة الدينية ، والدنيوية و بالولاء والطاعة التامين . والذى تزايد عدده إلى الثلاثين ألفاً من المحاربين الاشداء ، موزعين فى مناطق عديدة من لامارة على أتم استعداد لتلبية ندائه ، ولا يكلفونه سوى نفقات تزويدهم بالسلاح. اوأما أسباب المعيشه فيؤمنونها بسواعدهم مساهمين فى الوقت نفسه بازدهار البلاد ... فالاخوان اذن مع من ينضم اليهم من المتطوعين لهم الجيش فى زمن الحرب ، وقوة الشرطه التى تسهر على استتباب الامن فى أيام السلم وتتولى تأنيب من يتمرد على الدولة من القبائل الامر الذى لا بد من حدوثه فى بعض الاحيان .

والى جانب ذلك كله كانت للاخوان فى نظر ابن سعود مهمه جليلة أخرى هى جعلهم نواة منظمه لشعب منظم متحد. وكان لا بد من تثقيفهم حتى يتمكنوا من تحقيق مهمتهم ، فأوجد جماعة « المطوعين » وهم عبارة عن شباب من الاخوان يتلقون العلم على أيدى علماء الدين ثم يتوزعون فى « الهجر » يدرسون الناشئه ،

ويلقنونهم تعاليم الوهابية. ثم اتسع نطاق مهمات المتطوعين فأرسل الكثيرين منهم الى مختلف القرى يؤسسون خلايا جديدة للإخوان ، ثم انتشروا خارج حدود نجد . يبشرون بالعقيدة الوهابيه ، ويمهدون الارض لانتشارها .

وفى خلال ذلك كان الهدوء مخيما فى الجانب الغربى من امارة نجد ، فقد انفجرت الاغتيالات السياسيه العائليه بعد مقتل عبد العزيز بن الرشيد فى المعركة ضد ابن سعود ولم يبق على قيد الحياة من أفراد الاسرة الحاكمة فى حائل سوى أمير يدعى سعود بن الرشيد يتولى الحكم فيها بوصاية خاله » زامل بن سهيان » الذى رأى أن من الافضل اقامة علاقه طيبه مع ابن سعود فلقى من جانبه رغبة فى ذلك متبادلة مبعثها أن أنظار ابن سعود كانت فى ذلك الوقت متجهه نحو الشرق حيث يتسع أمامه المجال لتوسيع حدود أمارته وكان عليه فى الوقت نفسه أن يأمن الخطر من الخلف متهيئاً فى حذر لمقابلة عدوه الخطير فى الجنوب ... الشريف حسين بن على، الذى لا بد من مخاصمته إن عاجلا أو آجلا » اه . (دا كوبرت فون ميكوش) .

* * *

هذه لمحة من لمحاتى فى العقيدة والإسلام ، كنت أود الاحتفاظ بها . ولكنى آثرت أن أنقل اليك أيها القارىء الكريم لمحة عن إخوان التوحيد الذين أنشأهم ملك عظيم من ملوك الاسلام عرف بإصالة الرأى ، وطول الباع فى السياسة التى يجب أن يكون عليها الملك المصلح الذي يرغب فى تطبيق الشريعة على الشعب الذى يحكمه حتى لا ينسى الشعب عقيدته .

ولعل إخوان التوحيد فى المملكة العربية السعودية كانوا هم نواة فكرة للإخوان المسلمين الذين أنشأهم المغفور له حسن البنا فى عام ١٩٣٢ وكانوا فى أول نشأتهم

جماعة آمنت بالله و بالرسول ، وراحت تعمل فى دأب ، واجتهاد لالحم ما انفصل من علاقات بين المسلمين فقد كانت الفرصة سانحة ليقظة اسلامية اجتماعية انسانية مباركة لتحرير الناس من الخوف ، والجوع ، والعوز .

بدأ الإخوان المسلمون فى تكوين جماعتهم فى بداية نهاية فترة الاختبار التى كانت تمر بالشعب الروسى فى ظل الحكم البلشفى ـ أى قبل أن يؤلف الكومنفورم وتنتشر الدعوة البلشفية العالمية ـ قبل أن تتمكن العقيدة البلشفية من التغلغل فى نفوس الطبقات المنحطة اجتماعياً .

وكانت النازية فى بداية نهاية كفاحها للوصول إلى تقلد الحكم فى ألمانيا وقد نجحت فى تلك السنة .

وكانت مصر فى إبان تلك الفترة ترزح تحت نير الأقلية التى آلت على نفسها أن تصفى المنازعات القائمة بين الخديوى عباس الثانى وأحمد فؤاد الاول ليستقر الامر نهائياً فى مصر لاسرة أحمد فؤاد ...

وراحت جماعة الاخوان المسلمين تعمل فى الجهر والعلانية مستفيدة من اضطراب السلام فى نفوس الناس نتيجة تخبط قواد السياسة فى مصر والعالم ، فى تخطيط المبادىء الاقتصادية والاجتماعية . فنجحت فى إيقاظ النيام ، واكتسبت الجماعة ملايين الانصار ، والاتباع فى جميع البلاد الاسلامية فضلا عن مصر .

وأحست اليهودية العالمية الممثلة للرجعية بخطر قيام جماعة مخلصة لله تدعو لدين الله فأطلقت دعاتها ، ووسائلها المادية ونجحت فى جر جماعة الإخوان المسلمين الى الفتنة المادية ، وتطورت الدعوة الى الله الى دعوة لدين ودولة ...

ولم يفطن دعاة الاخوان المسلمين الى ما تدبره اليهودية العالمية التى لا تعترف لا بالاسلام

ولا بالمسيحية، فراحوا يعملون متحدين حكومات الدول الاسلامية التى لا تتخذ القرآن دستوراً لها فلقيت الدعوة فى بعض الاحايين اضطهاداً زادها قوة بل زادها انتشاراً ...

وقد أنشأ التحدى حقداً ان لم يكن قد أيقظ الحقد الدفين ... وبدأ الاخوان فى مصر يعملون للاستيلاء على الحكم . وبدأت الاغتيالات السياسية فى مصر والبلاد العربية تزداد عنفاً . ودارت الدائرة فأطاحت الرجعية بالرجل الذى آمن بالله ، و بالرسول. وخلفه فى قيادة الجماعة صنيعة من صنائع الرجعية كان من رجال القانون ـ ومما يؤسف له أنه ـ أى المرشد الجديد ـ لم يكن يدرى أنه من صنائع الرجعية...

وكان على رأس مصر ملك فاسق تحيط به الفاجرات من النساء والغوانى ، والفجار من رجال السياسة ، والبلاط ... استطاع أن يقع المرشد الجديد أنه المرشح الموعود للرياسة بعد لحظات قريبة و ....خرج المرشد من لدن الملك شاكراً داعياً المسلمين الى السمع ، والطاعة لولى الامر.

وفجأة ، ودون توقع للاحداث قامت حركة الجيش ، وطرد الملك قبل أن تصبح كتاباً موقوتاً للمرشد ...

وتصفى حساب الاحزاب . وحساب الملك ، وأسرته ، وحاشيته ووزرائه ، وظن الناس أن الاخوان المسلمون هم أصحاب الميمنة فى حركة الجيش. الى أن كانت محاولة اغتيال الرئيس جمال عبد الناصر... ولى الامر الذى آلى على نفسه أن يقود حركة تحرير المسلمين من أغلال الماضى . ومن مفاسد الحاضر . لكى لا يعيشوا فى مستقبل مظلم ... وما كادت أنباء المؤتمر الاسلامى تصل الى آذان الرجعية حتى

هبت تعلن سياستها بسلخ العراق من جامعة الدول العربية. ليستقر الامر لاسرائيل...

* * *

يخيل إلى أن الزحف الثالث للاسلام قد أصبح وشيكا ...

وليكن سمع وطاعة لولى الأمر الذى سيعلنه ..

* * *

ألا أن الرجعية التى يمثلها فى العالم اليهود ومن شاكلهم من الأقوام الذين طلقوا عقائدهم السماوية لن تقوم لهم قائمة بعد اليوم .. إلا إذا تنكر المسلمون لعقيدتهم وكتابهم ..

ولا شك أن هذا لن يكون أبداً ...

مقدمة في الثواليث

أيها القارىء الكريم :

لعلك قد وجدت فى مقدمتى ، العقيدة ، والسمع والطاعة، بعض الرد على ما تسأل عنه مشروحا بايجاز أرجو أن تتسع لى الفرصة لايفائه فى الصفحات التالية ، وفى هذه المقدمة « الثواليث ». فلم أكن فيما أكتبه مقيداً برأى عالم أو فيلسوف سبقنى.. إذ كل لذى أنقله اليك لايعبر الا عن حالات نفسية عشت فيها و مارستها خيالا وحقيقة واقعية بنفسى ولنفسى.. وكنت كلما لاح لى أننى حللت عقدة بانت لى عقدة جديدة قديمة فى هذا النسيج الذهنى الذى أعيش فيه ...

بلوت الحياة ، وجدت الحياة نسيجا من الضيق والفرج
نظمت القوافى وجبت الفيافى أريد الحقيقة . هل من حرج؟

فأنا لا أكتب لك عن العقيدة لاؤدى بك الى اعتناق عقيدتى حتما . ولكننى آثرت أن أطالعك بما فى نفسى علناً نلتقى معاً فى الطريق المهيع الى الحقيقة المطلقة مع اختلاف الظروف ، والبيئة ، والزمان ، والمكان الذى يجمعنا على ظهر البسيطة، فننطلق معاً الى الحقيقة الأزلية الباقية . فسنة النشوء والارتقاء، والتطور، تتناول النظام الاقتصادى ، والاجتماعى الذى نعيش فيه فى هذه الأيام ، وتوحى بأن طور الانتقال الطبيعى نحو السلام، والاستقرار النفسى، قد بدأ ..

فيقظة الوعى التى عمت البلاد الإسلامية ، والمسلمون فى مشارق الأرض ، ومغاربها، قد تلوّح ببدء الكفاح نحو التحرر من نير الاستعباد السياسى ، والاقتصادى ، والضغط الروحى ، ومع أن الناس يعانون حاله شديدة من التوتر العصبى فإنهم أصبحوا أكثر ميلا لفض منازعاتهم بالمفاوضات و المحادثات كأن تريد أن تكون الشورى نظامهم من جديد . وهذا يدعونا للتفاؤل ...

إن تطور التفكير الانسانى قد بدأ يميل الى التفاهم ، وهذا يدعونا الي السؤال : كيف يمكن التفاهم ، والناس متباعدون فى فهم عقائدهم ..؟

ان المذاهب السياسية السائدة اليوم فى العالم تنكر المبادىء الدينية كأصول للمذاهب السياسية .

وأنظمة الحكم منذ ابتدأ الرومان يؤمنون بالعقيدة المسيحية . فلم يتعرض الرومان للعقيدة التى يرغبها الناس الا اذا تعرضت للسلطان . . . أى أن القياصرة لم يتدخلوا فى شئون الرعية ما دام الناس لم يعرضوا لشئون الحاكم ، ونظام الحكم ...

وحتى فى الاسلام لم يتعرض الحاكم لحرية اعتقاد المحكوم مادام المحكوم لا يجهر بنقد الحاكم .

وبعبارة أخرى ، فان الإسلام جرى على احترام حريات من خالفوه فى العقيدة الدينية على أساس تبادل الاحترام . وقد نشأ عن ذلك ما يسمى «بالحق المكتسب»... فهاهم اليهود ، والأقباط ، ومسيحوا أوربا ، وآسيا وأمريكا ، وحتى طبيعوا استراليا يلقون معاملة المثل فى مصر ، رالعراق ، ولبنان ، وسوريا ، وفلسطين ، وشرق الاردن ، وفرنسا وانجلترا ، وسويسرا مثلا ... فهل يمكن أن يقال بأن الأخاء ، والحرية ، والمساواة . هى مذهب فرنسا فى الحكم فى تونس ، والجزائر ، ومراكش ، وفى الهندالصينية؟

هل يمكن أن يقال أن فرنسا تظلم مسلمى شمال افريقيا باسم الدين ؟

أو باسم اللادين ؟

لا يمكن أن يقال ذلك حتى ولو لم نكن نعلم أن فرنسا هى مهد الوجودية السارترية التى تلوّح للمؤمنين بسوط عذاب اذا لم يتخلوا عن فكرة السماء مخافة أن يضل

القطيع طريق الحقيقة الذاتية للإنسان ذاته . أو على الأقل مخافة ألا تذبل زهرات الشبـاب فى أركان مون مارتر ، والطاحونة الحمراء ...

لنعد مرة أخرى الى رأس الموضوع .

ما دمنا كلنا مؤمنين بأن الله واحد ففيم اذا الخلاف ؟

ما دام الخلاف ليس فى وحدانية الخالق، فهو اذاً فى ما يمس مصالح البشر ...

وهذه بطبيعتها تميل الى المخالفة ، والتعدد دائماً .

فهى قشور وليست جوهراً .

ومع أن الناس سواسية كأسنان المشط فان أكرمهم عند الله أتقاهم . . .

فكيف يمكن أن يتقى فريق منهم الله فيكون أكرم عنده من بقية « أسنان المشط »

ومن أين تأتى التقوى ..؟

اذا عرفنـا ما هى التقوى فقد نستغنى عن معرفة من أين أتت . فلنبحثها ولنحللها ولنعيدها ، الى أصلها ... فهل نقدر ؟

نستطيع بالعلم ، و بالقلم ، أن ندون هذه المبادىء .

* * *

نحن كما قلنا أقوام اتفقوا على وحدانية الخالق ولكنهم اختلفوا فيما بينهم نتيجة لافتقار اللغات التى نتفاهم بها فيا بيننا إلى تعبير واحد فى تعريف الله يتفق مع منطق مفهوم الوحدانية. ففى المسيحية ثلاثى يعبر عنه المسيحيون بكلمة ثالوث يؤدى إلى شىء واحد. ومجرد الاشارة الى الوحدانية باشارة وجودية حرفية يجعل المعنى اللفظى مستساغ لأن

واحـد ينشىء اثنين ، والاثنين ينشئان واحداً . كما فى تلاقح الذكر بالأنثى . فإنه ينشىء مولوداً جديداً .

و بالمعنى الروحى المطلق. فالواحد المنشىء للأثنين يتمثل فى انكار الذات دون أن يخشى الخطأ. إذ المعلوم عند علماء الفسيولوجيا أن نصف الإنسان أو شقيه لن يتساويا . فأحـدهما يسكنه القلب ، والآخر يسكنه الـكبد . ومع ذلك تتحكم الإرادة فتفصل بينهما وتـكفل الحياة للشقين، كشقيقين متساويين فى الجوهر . وتنفرد الارادة بالسمو والروحانية فتبدو كأنها استغنت عن الشقين استغناءاً كلياً لا يتعارض مع وحدة الذاتية فتكون قد قبلت المساواه بينهمـا . فلا آب ، ولا ابن، بل روح قدس.

فهذا الواحد المنشىء للاثنين المقتسم بينهمـا ذاته كفل لذاتيته قدرة على القدرة المطلقة .

واتفقوا فيما بينهم على شمول اللفظ للاقانيم الثلاث .
فأين يكون بعد العقيد الثالوثية الآن فى الوحدانية عن عقيدة الاسلام التى تقرر التوحيد فى الواحد المجرد عن التعداد اللهم الا فى أذهان الذين اختلطت عليهم الحقائق بالمجازات . . . أولئك الذين نسوا أن الانسان مضطر الى استخدام المجاز بقدر ماهو مضطر الى استخدام الحقيقة . . وانما هو القـدرة على الأبانة فى حال من الأحوال والعيى عنها فى الأحوال الأخرى .

والناس اذ يصلون الى مرحلة شك بعـد مرحلة يقين ، فهم انما يمتحنون عقائدهم فيلجأون الى التعليـل أو الى التبرير أو الى التفسير وهذه هى بدايات ضعف الايمان بالعقيدة الموحدة الواحدة المقدرة المقررة .

لقد توصل الناس بالعلم إلى بلورة المادة فأنتجنا البلاستيك الشفاف . وهذا التطور ،

والارتقاء يدلل على أن الإنسان هو السيد المتصرف فى جسده ، وروحه معاً . لأنه مؤمن بالعقل والدين هو العقل ، ولا دين لمن لا عقل له ، وهذه الرياضة الروحية ، والجسدية تتجانس ، وتتلابس فتصبح إنساناً يؤمن بالعقيدة . والعقيدة الاسلامية . ثالثة العقائد المكتوبة ، والممنوحة ، والموهوبة من الله لثلاثة أنبياء فى ثلاثة عصور متباعدة . وهى مكملة لدين الله الذى ارتضاه للعالمين .. الاسلام . لأنها العقل الحر المتكامل للانسانية .

إذاً فالدين الإسلامى مكمل بالعقيدة المحمدية نسبة لنبى الرسالة الاسلامى ، وهوالفيصل الذى هيأ المسلمين ليكونوا شهداء على الناس ، والشهادة لا تقبل الا ممن تتوافر فيه التقوى . إذاً فلا بد أن يكون بين الناس من هم أكرم وأتقى .

فمن هم الأتقياء ؟

أهم الذين يشهدون ألا اله الا الله وأن محمدا رسول الله مهما كانت تصرفاتهم ؟

أم هم الورعون الذين يخشون أن يملوا أطراف أقلامهم من مداد غيرهم الا باستئذان منـه ؟

لاشك أن هذه التقوى أو الورع انما هو الورع الأعجمى الذى وصفه عمر رضى الله عنه .. وان كان هذا هو الشائع الذائع بين الناس فى فهم الاتقياء ..

ألا أن الاتقياء هم الذين يذكرون اسم الله فى كل عمل وفي كل قول وفى كل تيقين . وهذه هى درجة التقوى المنشودة لعقيدة الاسلام . عقيدة الأمة الوسط التى جعلها الله شهداء على الناس .

فعلى ضوء فهم ضرورة استخدام الحقيقة والمجاز كما بينا آنفا نستطيع أن نسأل مرة ثم مرات :

ماهو وجه الاستغراب أو الخلاف الذي يقـوم بين الثالوثية المسيحية والتوحيدية

الاسلامية. بينما العقيد الاسلاميه يقوم فهمها على ثلاثة ادراكات : القرآن ، والتفسير، والسنة . وهذه هى الثلاث العمدان لقيام مفهوم عقيدة الاسلام وادراك مرامى الحقيقة فى فهم القرآن . . .

فهذه الأضلاع الثلاثة فى فهم العقيدة الاسلامية قد تحوم فى ذهن انسان عيي فى بعض الاحايين الى ادراك أن الاسلام يقوم فى عقيدته على التثليث أيضا فهل يسمى ذلك المسلم ثالوثيا . . ؟ وهل يبعده هذا الفهم عن الاسلام كعقيدة موحدة . . ؟

وهل تتساوى أضلاع هذا المثلث أم أن القاعدة أن هذا الثالوث انما هو تعبير تصورى امكانى لذلك المسلم الذى أعياه التبيين الا بهذه الوسيلة التصورية كما تخيلها المسيحيون فى يوم ما قبل مجىء الرسول . وقبل أن يصحح القرآن ذلك المفهوم انهاء للتخبط والخلط .

ان الناس كأنهم كانوا يريدون أن يحتموا على كل انسان أن يكون مبينا قادرا على التبيين — حتى قبل أن ينزل عليهم كتاب التبيين — القرآن . لأنهم حكموا على من قال بالتثليث . . بأنه مؤمن بالتثليث .

أو كأنهم أرادوا أن يحتموا فهم مفهوم اللغة العربية — لغة القرآن — قبل أن ينزل . حتى على غير من لم يفهم اللغة العربية أصلا . والا لكان من حق الناس على الناس ألا يختلفوا وأن لا يباعد بعضهم عن بعض من أجل تعبير مجازى أريد به تقريب المفهوم البدهى لقوم لم يكن فى مقدورهم أن يفهموا الله الا بهذا التعبير .

فكلمة الله التى نزلت فى الفرقان (انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) انما تدل على الرغبة فى التوضيح .

لأن الكتب السماوية التى اشتملت على تعاليم الرسل والانبياء الذين نادوا بالتوحيد

قبل القرآن لم تكن منزلة بالعربية وإنما نقلت إليها عن طريق الترجمة والتعريب . فهذا التوضيح السماوى العربى إنما كان متساويًا ومتفقًا مع التطور الذهنى والزمنى . إذ أنزل القرآن على نبى عربى لقوم عرب ولمخاطبة عقول عربية تطورت فأصبحت فى حاجة إلى مفهوم موحد لإسم الله .

وظلت الكتب والمفهومات التى سبقت تنزيل القرآن موضع الخلاف الناشىء من خلط المجاز بالحقيقة فى أذهان الناس فلم يهتم الأزهر مثلا- وهو جامعة إسلامية يدرس فيها الدين واللغة العربيه- بإعادة النظر فى ترجمات الكتب السماوية التى أنزلت من قبل تنزيل القرآن.. ولعل الازهر احترم أيضاً ما أسميته قبلا بـ « الحق المكتسب » فلم يشأ أن يتعرض لغيره مخافة أن يتعرض الغير له..!

ومع أن الأزهر أنشىء منذ ألف سنة ، ويزيد أى قبل أن تدخل النصرانيـة الى روسيا فان الازهر لم يتعرض لتصحيح الخطأ المادى الذى وقع فيه مبعوثى الاسلام الى فلاديمير أول أمير رغب مختاراً أو مضطراً فى اعتناق عقيدة سماوية تخلصه هو وقومه من الشك فى قدرة الاصنام التى كان هو وقومه يتخذونها آلهة من دون الله . ولو كان الازهر قد تعرض لهذا النصح لـكان قد صحح للروس اعتقادهم بوحدانية الله المطلقة ولما كنا سمعنا عن الماركسية التى ما قامت الا لتدحض الشك الذى ساورها فى هذا الانسان الذى جاء ليبشر بالسلام ، والذى قال «أن الإنسان يجب أن يولد بالروح ثانية . . »

هذا الانسان هو المسيح عيسى بن مريم « قول الحق الذى فيه يمترون ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون » .

ولعل الأزهر قد شايع القيصر الروماني الذي نزل عن لقب الإله ، ومنح المؤمنين بالعقيدة المسيحية حق عبادة الإله الذي هم يريدون ، ولم يتعرض لهم فيما يعتقدون على ألا يتعرضوا له فيما يعتقد .

وقد يكون من الصواب أن نسأل بل أن نتساءل كيف يتخلى قيصر عن نعته بصفة الإله ، ولا يبحث عن إله يؤمن به هو إلا أن يكفر بالآلهة جميعاً . ويؤمن بنفسه فحسب . . .

وقد نتعرض بصدد هذا البحث الى تساؤل يعود بنا في الزمن الى ما قبل قيصر هذا بأربعة عشر قرناً أي الى عهد موسى بفرعون حين آمن فرعون بعجائب موسى ، ولم يؤمن برب موسى الذي أرسله .

ان حرفية وصايا موسى العشر التي أنزلها الله عليه لم تنقضها المسيحية بل شرحتها ، وأوضحت سمو معانيها ولم تأت المسيحية لتنقض شريعة موسى بل لتكملها .
ومن عهد آدم إلى المسيح عليه السلام جاءت رسالات جاءوا بها أنبياء ووضعت تعاليم بشّر بها كثير من الصالحين الذين آمنوا بوحدانية خالق الوجود ، كما آمنوا بأن اللطيف هو القوى ، وأن المتعبد هو الصحيح الجسم . أما الضعيف فهو بطبيعة الحال لطيف ، وأما المريض فهو بطبيعة الحال متعبد ، وأما الله فعزاء .

لقد جاءت الأديان للضعاف أخلاقياً . جاء بها الأنبياء واستوحوا تعاليمها وطرق اتباعها من الصالحين ، ومن الأنبياء أيضاً الذين سبقوهم في الدرجة الأولى .
وقد ذكر الانجيل على لسان السيد المسيح عليه السلام أنه قال « لا تدعوني صالحاً فليس صالحاً إلا الله » .

وقد يخدع الإنسان نفسه طول الحياة التى يحياها هو ، ولكنه يسلم فى النهاية للحقيقة المجردة المطلقة . . الله . .

وإذا كنت أقول بأن الأديان جاءت للطبقة الضعيفة أخلاقياً أى التى يشترك فيها المرضى والضعاف الذين يشكون فى قبول يقينية الوجودية ، والذين طبعوا على حب الحياة وحب البقاء ، بعد أن جاءتهم وصية موسى الأولى « أنا هو الرب إلهك لا يكن لك إله غيرى » ووصيته الثانية « أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض » . فان القرآن يذكر آية واحدة تشمل هذا الناموس « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه و بالوالدين إحساناً » وقد شرح القرآن الكريم معنى الأمر والقضاء الإلهى فأنشأ للانسان حقاً وفرض عليه واجباً ، وقد كان يمكن أن يقال أن القرآن هذب معنى التثليث الرمزى للواحد المنشىء لاثنين وللاثنين المنشئين للواحد . ولكن القرآن لم ينزل ليفسر المادة على أنها روح أو يفسر الروح على أنه مادة . لأن الروح والمادة شيئان مختلفان يأتلفان فى الإنسان عن طريق الفكر وهما نتيجة إرادة عليا اختص بها الخالق سبحانه وتعالى .

فكان من الممكن بسهولة أن يعتبر الاسلام مكملا للمسيحية كما كانت المسيحية مكملة لليهودية ، وفى هذه المنطقة العربية، الروحيه، المادية، ما كان أحرى الناس أن يتفقوا بدل أن يختلفوا وأن يتقاربوا بدل أن يتباعدوا ، وصدق الشاعر أبو الوفا حين يتساءل فيقول :

عيسى أخوك محمد ... وكلاكما بان وشائد
ما للنصارى فى كنائس ... والحنائف فى مساجد

ما للرواشد ما لهم لا يصهرون مع الرواشد؟
أأقول آدم لم يكن أم كان آدم غير واحد؟
لم لا يكون الحب وهو الأصل رائد كل رائد؟

وإذاً فالقرآن يكمل لأصحاب العقائد عقائدهم منزهاً الله عز وجل عن أن يكون شيئاً يمكن أن يتصوره الانسان على صورة ما أو أن يعرف سره لأن الله قوة غير منظورة ويجب أن يظل في نظرنا كذلك لأن الانسان بطبيعته جبلة تحتوى ذرات وعناصر تمثل جميع الكونيات وقواها وهو يفتقر دائماً الى القوة الروحانية التى يستمدها من الكائن الحى الأزلى الذى لا يموت .

وقد نعجب لموسى حين ندرس شخصيته كنبي لم يحاول أن يهدى فرعون ولكنه كلف فقط بإخراج بنى اسرائيل من مصر بعد أربعة عشر قرناً أى من عهد يعقوب إلى موسى تقريباً.

فإذا ما تمت معجزة إقناع فرعون باخراج بنى اسرائيل من أرض مصر عاد هؤلاء الى ملاقاة أبناء عمومتهم (بن عمينو ، تعبير يهودى) فى أرض فلسطين وأطلق عليهم منذ ذلك التاريخ اسم العبرانيين نسبة إلى عبورهم البحر . فعاشوا بين أبناء أسباط يعقوب وكان لنشأة وبيئة كل منهم طبيعة مختلفة فى الجوهر لأن ظاهرة الانسان لا يمكن أن تكون مختلفة وإن تعددت صوره . وقد أوصى الاسلام الناس أن يأخذوا بالظاهر توكيداً لحرية المعتقد .

ولكي لا تكون هذه الحرية مادية المظهر بل ظاهرية أى مطلقة من قيود المادة،

وإن كانت طاقة الإنسان على احتمالها نسبية فأن نظام الوجود يحتم التطور فى ارتقاء الروح بحيث يمهد لإمكانية حدوث تطور كامل للذات الانسانية ليصبح الانسان قادراً على أن يخلق بالروح ثانية.. ولا يكون خلقه عجباً يخرجه من حيز الامكانية إلى حيز الإعجاز — فالله هو خالق الكون والوجود بأسره ولا شىء عنده عجباً . فإرادته مطلقة ..

فاذا كانت الكنيسة قد جاوزت الحد فى تعريف الله وتقريب فهمه للمسيحيين على صورة مادية بقولها (آب) للمسيح الذى خلق بالروح كأمر من أوامر الله وأطلقت على المسيح اسم الابن ووجدت أنه من أجل أن تكون الصلة بين الآب والابن فى حياة واحدة أزلية أنها فى حاجة إلى أقنوم يربط بين الآب والابن بالحياة عولت على الروح القدس كأقنوم ثالث يعبر عن حيوية مطلقة تربط بين الآب والإبن. واتخذت من هذا الثالوث تفسيراً للضعاف والمرضى ، وبعبارة أخرى للطبقة الثالثة من الناس الذين هم فى حاجة إلى دين بله إلى عقل مدرك.

وهذه الطبقة الثالثة الممثلة للغالبية العظمى من الناس حين يضيق بها الأمر تهرع إلى رجال الدين لتتلقى منهم الارشاد لتحصل على السلام والاستقرار ..!

أما الاسلام قد قرب بين المؤمنين جميعاً بقوله « إنما المؤمنون اخوة » ، والاخوة هنا تعبير مجازى فى ظاهر القول لا شك أنه يراد به تقريب الحقيقة العظمى فى أذهان أصحاب المدارك التى لا تستطيع أن تخرج من حيز المادة فترقى الى المفهوم الكلى. الله . الابهذه الواسطة فى التعبير . ثم لتقريب الحقيقة المثلى وهى أن الناس كلهم من اصل واحد فالكل لآدم وآدم من تراب ..

فاذا ما عدنا مرة أخرى لمناقشة أسباب نشأة الماركسية ، والشيوعية، والوجودية

السارترية لوجدنا أن رجال الكنيسة الذين احتموا بالقياصرة ليكفلوا البقاء لأنفسهم هم سبب نشوء الماركسية . وهم سبب نشوء الوجودية السارترية . وهم سبب الاضطراب الذى يبلبل أفكار الانسانية. وهم سبب انكار الناس لوجود الله. مع أنهم يقولون عن الكنيسة أنها بيت الله . وانهم خدم بيت الله. ثم هم قد اخذوا السلطةمن المسيح الذى منحه الله سلطة على الكنيسة فصيرته هذهالسلطة ربا للكنيسة لا ربا للخليقة.

وليس مرجع الانكار هنا الله ذاته وحتى ليس مرجعه تعاليم الله ولكن المرجع هو ذلك التناقض العجيب والخلل المعيب بين ما تأمر به الدولة كراعية لمصالح الناس فى الأرض وما يأمر به الدين كراع لمصالح الروح والجسد معاً فى الدنيا والآخرة ، أى الربط بين الارض والسماءو بين المادة والروح . فللدولة سلطان يحمى الكنيسة وليس للكنيسة سلطان يحمى الشعب من أحكام الدولة، ومن الانظمة الوضعية المؤسسة على الواقع الطبيعى والتى تخلو خلواً كاملا من ذكر الله.. وقد لاتذكره الاعلى سبيل المجاز، وهذا لعمرى سبب نشوء الماركسية التى عبرت عن الشعب بالقطيع والتى رسمت للكفاح فى سبيل العيش طريقاً مادياً بحتاً . ولقد تحدثت فى مقدمتى السابقة السمع والطاعة، عن الرجعية الممثلة فى اليهودية العالمية التى أنكرت تعاليم المسيح، وها أنا ذا أعود فأكرر الحديث عنها بتعريف ولى الامر فى الاسلام .

* * *

إننا باطلاعنا على تاريخ الفجر الأول للاسلام أى فى إبان حياة الرسول صلى الله عليه وسلم . نجد أن الرسول قد جاء هادياً لطبقة الحكام مؤكدا لهم طاعته لله . فلم تكن رسالته مجرد كلام . ولم يكن القرآن مجرد ذكر بل كان تعليما لطبقة الحكام أن يحكموا بالعدل بين الناس. وقدفصل هذا التعليم وهذا العدل تفصيلا واسعاً فتقرر

بأن لافضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى وهذا هومبدأ المساواة بين الناس كخليقة. وكانت رسالة الرسول إلى الحكام والولاة واضحة ولا تخلو من ذكر الله مطلقاً. فهو لم يفعل الحسنات حباً بالجنة أو خوفاً من النار ولكنه كان يشعر كإنسان بآلام إنسان آخر فيعمل على تخفيفها لأنه كان يصدع لأوامر الله دون أن يناقشها ـ وفى هذا لذة ومكافأة ـ فالموت فى سبيل الله كان ولا يزال أعز أمنية عند المسلمين. فالمادة مهما ازدادت صلابة والأخلاق مهما ازدادت انحلالا، والتماسك بين الأفراد والأسرة مهما وهن فى دنيا هى بطبيعتها شركة مساهمه لكل فرد فيها نصيب ويجب أن تساس فيها الأمور بالعقل، ويجب أن يكون للعقل السهم الأكبر ليستطيع أن يتحكم فى مقدرات ذاته وهو بعد ذلك يؤمن بأن رحمة الله وسعت كل شىء ...

والاسلام وإن كان قدسوى بين الناس فانه لا يستوى عنده أو فيه الجاهل والمتعلم، أو الأعمى والبصير، أو الطيب والخبيث فالحلال فيه بين، والحرام فيه بين ولا يعترف الاسلام بالمتأرجحين بين الشك واليقين، وفى هذا يقول (من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) ويقول (لا اكراه فى الدين).

وتعاليم الاسلام فى التوحيد تنفى الواسطة بين المخلوق والخالق، وهو الذى يغفر الذنوب جميعاً، ولا يغفر أن يشرك به. وكل خلاف وقع فيما قبل تنزيل القرآن تجاوز عنه الله حتى فيما يختص بما قيل عن المسيح حين قال الله له فى رواية القرآن «أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب».

* * *

ومع ذلك فقد عاش المسيحيون حتى اليوم على التثليث، وبقيت المسيحية التي رسمتها الكنيسة تتمتع بحق مكتسب. حتى نفته العقيدة الإسلامية من حيث هو صورة من صور الشرك بالله ..

وعاشت اليهودية منكرة للمسيحية والاسلام. واستتبع هذا الإنكار قيام الرجعية بين وقت آخر بمحاولة إنكار تطور الدين والرسالة السماوية. التي انهت أسطورة شعب الله المختار وجعلت من الأمة العربية الاسلامية أمة وسطا. فقد اكسب اهمال رجال الدين الاسلامي اليهود حقاً مكتسباً ايضاً. وهكذا تلقى المسئولية كلها على رجال الدين المسلمين الذين اعتقدوا بالأنبياء وبالرسل، والكتب كلها، ومع ذلك فهم لا يمارسون حقوق هذا الاعتقاد وواجباته فيعملون على تصحيح هذه المعتقدات والرسالات للناس ليكون الدين كله لله.

* * *

قلت فيما تقدم من الكلام أن النبي موسى عليه السلام أرسل في عصر مادي هو عصر السحرة الذين كانوا يصنعون المعجزات السحرية فلم تكن له رسالة لفرعون الذي طغى تلزمه - أي موسى - بالبقاء في مصر حتى يهدي فرعون. فقد يبدو لنا أن الله سبحانه وتعالى قد قصر رسالة موسى في مصر على اخراج بني اسرائيل من أرضها.

وكان لاخراج بني اسرائيل منها حكمة الهية فقد تدخلوا في عبادات الفراعنة لا ليوجهوا الناس الى الدين الحق والوحدانية المطلقة: بل ليسفهوا فكرة الخلود بعد الموت التي كان يؤمن بها عبدة الاصنام من الفراعنة وبعبارة أخرى عمل اليهود — يهود مصر — الى تحويل الناس عن عبادة الله الغير المنظور الى عبادة الله المنظور

والمعروف أن المال هو اله المادة . وقد قال السيد المسيح فيما بعد لليهود أنكم لا تستطيعون أن تعبدوا ربين الله والمال . وقال القرآن بعد ذلك .« المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباًوخير أملا » فعبادة المادة وعبادة المال لا تتفق مع عبادة الله لأن الله روح مهيمن مسيطر موجه متعال قادر على تصريف أموره ، والمادة حجر تصقله يد الإنسان ويتصرف فيها هو أو تتصرف فيه هي تبعاً لاتجاهات التصرف والتحويل ووفق حاجته. واذا يمكن القول أن الانسان اذا اندمج فى المادة اندماجاً كلياً بحتاً فسينتهى به الامر حتما الى تحلل من المادة والروح لدرجة أن يصير الى عدم .

ولم يقدر اليهود أن يستبدلوا المادة بالروح رغم كل ما جاءهم بعد من رسالات روحية اذ كتب عليهم أن يعيشوا كذلك وأن يظلوا مقياساً لتقهقر المادة أمام تقدم الروح وهم بلا شك فى الطريق الى الانقراض . وهذا هو مركب النقص اليهودى الرجعى ... كلما آذنت شمسهم بالمغيب استمسكوا بأطراف النهار. لعل هذا الليل لايجىء ولعل هذه الظلمة لا تكون سبباً فى سبى أولادهم أو تقتيلهم .

وقد يقوم سؤال لمعترض . اذا كان الامر كذلك فلم لا نعاملهم بالشفقة والعطف؟ ونجيب على هذا السائل فنقول ليس على الانسان أن يغير أو يبدل من مشيئة الله... وليس علينا أن تقرر ما ليس فى حساب الله . وليس علينا أن نعطف على الناس عطفاً يزيد عن عطف الله . وليس علينا كإنسانيين أن نكون أكثر انسانية مما قدر لنا فننشىء للشيطان مكاناًيسكنه باسم الانسانية.فليصنع الشيطان لنفسه مسكناً وليبن له بيتاً ولنهدمه اذا كنا نخشى على انسانيتنا أن يغدر بها أو يغدرها الشيطان ..!

وقد عاش اليهود يعللون النفس بوطن قومى أخطأوا اختيار موقعه . فليست فلسطين وطن اليهود، ولكنها مهد الانبياء. وليست فلسطين بيت الشيطان، فبيت الشيطان جهنم ومملكته فيها وليس على أن أدلهم على جهنم ، ولكن على أن أوعز اليهم بالخلاص منها فقد جاءت الديانات لتدلهم وتهديهم الى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم فخلصهم من ربقة أنفسهم ومن تحكم المادة فى دنيا كتب على كل من فيها الفناء المادى ، ولمن شاء أن يخلد بالروح أن يعمل عملا صالحاً يبقى.. وكانت وصايا موسى صماء متجاوبة مع أصداء تفكير بنى اسرائيل وأقصى ما فيها من أمانى أن تطول أيامهم على الارض ..!

فإذا انتقلنا الى العصر الذى جاء فيه المسيح عليه السلام وجدنا أن المادة كانت تحتضر وفى أقسى أطوار الانحلال. فرجال الناموس الذين حملوا تابوت العهد والوصايا بحرفيتها أصبحوا آليين يحكمون بلا ارادة انسانية . فقوى الخير والشر يجب أن تتوازن اذا ما اقترب الخلل من عامود الميزان وكلما زاد عدد الطيبين كلما قل عدد الاشرار ، وكلما سمت النفوس الى روحانية ألهية كلما ضمر حجم الشر وثقلت موازينه بالحجم . فأصبح الناكرون الجاحدون الكافرون بنعمة الله قلة وأصبح الحائرون الهائمون الباحثون عن الحقيقة المطلقة كثرة عظمى .

وكما أن الله سبحانه وتعالى وضع سنة النشوء والارتقاء يصرفها هو بقدرة فائقة ، وفى مواقيت معلومة فإنه يمنح الهدى للعارفين به الراغبين فى الوصول اليه فيوصيهم بالصبر ويتقبل رجاءهم فى الخلاص ويحدد هو سبحانه وتعالى ساعة الخلاص « يسألونك عن الساعة قل علمها عند ربى . وما أدريك لعل الساعة تكون قريباً »

(والعصر أن الانسان لفى خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر)

وكانت رسالة المسيح مركزة على طريقة مولده فقد ولد بالروح كأمر من أوامر الله . ولد معلماً مميزاً مدركاً لبدايته ونهايته فقد نادى أمه وهو مازال تحتها قال « لا تخافى ولا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا » ونادى بنفسه رسولا ، ومبشراً ونذيراً فقال « سلام على يوم ولدت ويوم أموت ، ويوم أبعث حياً » . فكل ما قدحدث فى حياته لم يكن مستحدثاً بل كان حادثاً من قبل أن يولد وما حياته الا دليل للمتشككين يستمدون منه يقينية الارادة الالهية فى أن كل ما يريده الله أن يكون قد كان وما النبوآت التى سبقت خلق السيد المسيح الا خطوات مهدت الاذهان الى ايمان مطلق بقدرة الله .

ومن هنا ندرك أننا نعيش فى الأزمنة الثلاث. الماضى والحاضر والمستقبل. كما نعيش فى العقائد الثلاث. وما دمنا محاولين الاندماج فى الفهم الروحى لهذه العقائد فليس غريب منا ولا أجنبى عنا إلا هؤلاء المتعنتين الجامدين الماديين الذين يحاولون أن يوقعوا العدواة والبغضاء بين أبناء الانسانية بما يتمسكون به من ألفاظ واعتبارات لا تقوم الا على أساس مركب النقص الذى يعيشون فيه كأقليات متفرقة مبعثرة تبحث عن المادة حيثما كانت . فهل نكيف حياتنا الحاضرة متعظين بعبر الماضى عاملين للمستقبل وهو هنا الحياة الأخرى ، الجنة كما يعبر عنها الاسلام . أو الملكوت السموى كما تعبر عنه المسيحية .؟

ورسالة السيد المسيح كانت مهيأة للطبقة الثالثة . للفقراء والضعفاء والأطفال ، الذين

استغلهم الناموس وحالوا بينهم ، و بين التطور والارتقاء.

ولم يكن السيد المسيح فى ذاتيته الانسانية يعمل من أجل بقاء مادى فقد كانت رسالته تزهيداً للناس بالمادية ، وما كان يستطيع أن يفعل غير ذلك لأنه فى حد ذاته أمر من أوامر الله وجوهر من جواهر الروح تمثلت فى بشر . فلا خيرة للناس ولا حيلة له هو فى نفسه إلا أن يفعل ما أمر به تلقائياً دون أن يكون له حق المناقشة فى مصيره .

فإذا قيل بعد ذلك وهذا القول ما قاله اليهود — بأنه صلب . فإننا نعلم عن اليهود بأنهم لم يعترفوا بمجىء السيد المسيح كرسول. فهم حين أرادوا محاكمته لم يقدروا على اتهامه بأكثر من أنهم قالوا أنه أراد أن يكون ملكا عليهم فلما لم يستطيعوا إثبات ذلك أمام بيلاطس الوالى الرومانى قالوا فى ثورة عمياء أنه قال أنه ابن الله . وقد سأله بيلاطس عن ذلك فأجابه السيد المسيح : أنا لم أقل هذا ؟ بل أنت قلته . فأى دليل قام على تكذيب قوله ، وأى دليل قام على صلب هذا الانسان بالذات ؟

إن رواية الأناجيل عن الصلب لا تؤكد واقعة الصلب بالنسبة لهذا الإنسان بالذات ولكنهم أرادوا أن تكون هناك نهاية لهذه الاسطورة فتخيلوا أن المسيح قد صلب وقالوا أن النبوآت التى سبقت مجيئه تقرر وجوب هذه النهاية اذ قيل أنه قيل فى الاساطير السابقة « أن نسل المرأة يسحق رأس الخطيئة ، ولكنها تلدغ عقبه »

وليس هذا المفهوم من هذه العبارة يؤدى الى تطبيقها على السيد المسيح بالذات لأن السيد المسيح ليس نسلا لامرأة فأمه بتول لم يمسسها بشر من قبل أن تحمل به . والمسيح ذاته بتول لأنه ليس من الخطيئة بل من الله . وهو رمز قائم بذاته لتجسد الروح ، ومثل لآدم من حيث ارادة الخالق . وهو على هذا الأساس أصل ثابت

من أصول تطور النشوء ، والارتقاء بالخلق ، ونقطة تحول لتبلور المادة . وحكم من أحكام الله في تعطيل أداة الخطيئة ... وقد أدرك علماء اليهود وفلاسفتهم هذه الحقيقة فأرادوا بقولهم أن المسيح قد صلب أن يعطلوا مشيئةالله ، ولكن الله سبحانه وتعالى اذا أراد أن يكون شيئاً كان واذا أبى أن يكون هذا الشيء فلن يكون هذا الشيء ، وهومتم نوره ولو كره الكافرون .

ولو تناولنا موضوع الصلب مادياً لما أمكننا تصديقه أيضاً لأن كلمة الله لا تمس فضلا عن روحه . والكلام كله أيا كان قائله لا يمس . والمسيح كلمة الله وروح منه . والكلام يسمع ولا يمس..فإذا كانت الكلمة كلمة الله فأولى بالبشر أن يستمعوا اليه وقد جروا على الاستماع لمن تزعموهم في الحياة الدنيا وكانوا بشراً مثلهم .

واذا كان تلامذة السيد المسيح قد رأوه متجلياً بعد اذ علموا بأنه صلب ومات ، وقبر وقام ... بعد ثلاثة أيام من وقت الصلب ، وقيل بأن هذا تتميم لما جاء في الكتب من قبل.. فإني أقول أيضاً وقد اعتمل الشك عندي في صحة رواية الكتب التي أشرف على اعدادها من قبل معلمو اليهود وفلاسفتهم ، بأن المسيح لم يصلب قط بل توفاه الله كعادة في الارض و رفعه اليه روحانياً كما جاء به أول الامر .

وكثيراً ما يختلف المؤرخون في تصور نهاية لثورة مادية فكيف هم لايخطئون في تصور نهاية لثورة روحية لا يؤمنون بها .

وقد جاء القرآن بوحي من الله و بلغة عربيه على رسول أمين مصدقاً لما بين أيدى الناس فيما لم يمسه التحوير ، والاجتهاد، ومصححاً لما تناوله المغرضون من ، وقائع روحية تصوروها تصوراً مادياً . (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس

لا يعلمون) .

واذا لم يؤمن الاسلام بعقيدة الصلب فانما هو يصحح للذين اعتقدوا بالصلب عقيدتهم ويجلهم عن هذا الاسفاف الخاطىء فى المعتقد ، ليكون وعد الله حقا اذ قال سبحانه للمسيح (أنى متوفيك ورافعك الى) وقد صدق وعده .

فلا خلاف اذاً بين العقيدتين المسيحية والمحمدية فى الظاهرات ، والعجائب التى اتصف بها عهد المسيح عليه السلام وكان من بينها إحياء الموتى بإذن الله لكى يؤمن الناس بالمسيح كرسول .وبأن الله هو مرسله..

أما التثليث فقد راعي فيه رجال الكنيسة قوة الاجتهاد فى تبسيط قبول فكرة الله دفعة واحدة لكى يكفلوا أمرين: الاول ربط البداية بالنهاية، ربطاً ناسوتياً ولاهوتياً فهم فى قولهم باسم الآب يقدرون بأن الله سبحانه وتعالى والد هذا الكون بمعنى خالقه وعائله والمسؤل أولا وأخيراً عن نظام تكوينه وإعاشته، باعتبار أنه كانت هناك أربابا من دون الله كان الناس يعبدونها لاعتقادهم فيها بأنها آلهتهم . ولم يرسل الله النبيين والرسل ، إلا ليهدى الناس اليه حيث يقول تعالى فى القرآن « إن الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ». (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) « وأعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس » . هذه الآيات البينات تدلل صراحة على أن الناس كانوا فى شك من إله واحد فرد صمد .

فإذا أنتقلنا الى الشق الثانى ، وهو الابن وجدنا المسيحيين يؤمنون بإله واحد قربته لهم الكنيسة لتبرر قيام رئيسها بأعباء الخلافه الرسولية من بعد المسيح فتبشر بإله واحد رأته على هذا الوضع لتمنح رجال الكنيسة سلطاناً على الناس كما منحه السيد

المسيح — الابن — فتحفظ الصلة بين الآب، والابن، بالروح القدس.

وقد تغالى رجال الكنيسة فى شرح فكرة الله على هذه الصورة لأن الناسوت، واللاهوت لا يجتمعان الا فى المسيح — الابن — وهما على هذا الأساس لا يمثلان الشق الأول من الثالوث كجوهر مفرد ولا يمثلان الشق الثالث من الثالوث وهو الروح المقدس كجوهر مطلق، وعلى هذا الأساس يكون هذا التقريب لفكرة الله محاولة مجازية فاشله لأن مثل عيسى فى الخلق كمثل آدم من حيث هو أمر يساويه من حيث الارادة الإلهية كما يساويه تماماً خلق حواء من ضلع آدم. والسر الألهى الذى ظل مجهولا للناس سيظل كذلك لأنه سر الخالق، وسر الخلق، الذى تم على ثلاث مراحل، انبعثت فيها روح الله مباشرة دون لجوء الى أطوار هى من خصائص الولادات الجسدية.

وهذا التثليث المكون لارادة واحدة هو نتيجة لمشيئة الخالق فى أن يكون أصل الانسان واحداً، ومن تراب. وهذا على ما أعتقد هو سند رجال الكنيسة الذين يقول عنهم السيد المسيح فى حديث له مع الشعب. «على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون. فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه، وافعلوه، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون، ولا يفعلون. فانهم يحزمون أحمالا ثقيلة عسرة الحمل، ويضعونها على أكتاف الناس وهم لا يريدون أن يحركوها باصبعهم. وكل أعمالهم يعملونها لكى تنظرهم الناس. فيعرضون عصائبهم ويعظمون أهداب ثيابهم ويحبون المتكأ الأول فى الولائم والمجالس الاولى فى المجامع، والتحيات فى الاسواق وأن يدعوهم الناس سيدى ... سيدى. وأما أنتم فلا تدعوا سيدى لان معلمكم واحد المسيح، وأنتم جميعاً أخوة، ولا تدعوا لكم أبا على الارض لأن أبا كم واحد

الذى فى السموات . ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد المسيح . وأ كبركم يكون خادماً لكم . فمن يرفع نفسه يتضع ، ومن يضع نفسه يرتفع .

لكن ويل لكم أيها الكتبة ، والفريسيون المراؤون لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس فلا تدخلون أنتم ، ولا تدعون الداخلين يدخلون . ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تأكلون بيوت الارامل . ولعلة تطيلون صلواتكم. لذلك تأخذون دينونة أعظم. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لانكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلا ، واحداً ، ومتى حصل تصنعونه أبناً لجهنم أكثر منكم مضاعفاً . ويل لكم أيها القادة العميان القائلون من حلف بالهيكل فليس بشىء... ولكن من حلف بذهب الهيكل يلتزم. أيها الجهال والعميان أيهما أعظم الذهب أم الهيكل الذى يقدس الذهب. ومن حلف بالمذبح فليس بشىء ولكن من حلف بالقربان الذى عليه يلتزم . أيها الجهال والعميان ، أيما أعظم القربان أم المذبح الذى يقدس القربان . فان من حلف بالمذبح فقد حلف به و بالساكن فيه ومن حلف بالسماء فقد حلف بعرش الله و بالجالس عليه . ويل لكم أيها الكتبة ، والفريسيون المراؤون لأنكم تعشرون النعنع ، والشبت والكمون ، وتركتم أثقل الناموس. الحق ، والرحمة ، والايمان. كان ينبغى أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك .

أيها القادة العميان الذين يصفون عن البعوضة ويبلعون الجمل. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لانكم تنقون خارج الكأس والصحفة ، وهما من داخل مملوآن اختطافاً ، ودعارة . أيها الفريسى الأعمى نق أولا داخل الكأس والصحفة ، لكى يكون خارجهما أيضاً نقياً . ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون ، لأنكم تشبهون قبوراً مبيضة . تظهر من خارج جميلة ، وهى من داخل مملوءة عظام

أموات ، وكل نجاسة . هكذا أنتم أيضاً من خارج تظهرون للناس أبراراً ولكنكم من داخل مشحونون رياء وأثماً . ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لانكم تبنون قبور الانبياء ،وتزينون مدافن الصديقين . وتقولون لو كنا فى أيام آبائنا لما شاركناهم فى دم الانبياء . فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الانبياء . فاملأوا أنتم مكيال آبائكم .أيها الحيات أولاد الافاعى كيف تهربون من دينونة جهنم . لذلك ها أنا أرسل اليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون ، ومنهم تجلدون فى مجامعكم وتطردون من مدينة الى مدينة . لكى يأتى عليكم كل دم زكى سفك على الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا ابن برخيا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح.الحق الحق أقول لكم أن هذا كله يأتى على هذا الجيل .

يا أورشليم ... يا أورشليم.. ياقاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين اليها . كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة صيصانها تحت جناحيها ولم تريدوا . هو ذا بيتكم يترك لكم خراباً . لأنى أقول لكم أنكم لا ترونى من الآن حتى تقولوا مبارك الآتى باسم الرب . «اه انجيل متى ا ص ح ٢٣ » .

أما الإيمان بالمسيح عيسى بن مريم عليه السلام فى العقيدة الاسلامية فلا يحتاج إلى تعريب أو تبسيط — على الأقل بالنسبة لنا نحن العرب ـ لأنه يبدو بديهياً وفى غير حاجة إلى تجلية أو برهان .

والعقيدة الاسلامية تركز الإيمان بالله فى الآية الكريمة « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته ورسله لا نفرق بين أحد من رسله

وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير . لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » ..

وعلى هذا الأساس تكون شريعة موسى ناقصة ومكملة بشريعة عيسى . وإذاً فقد جاء الإسلام كاملا ، ومكملا للشريعتين السابقتين له . فإذا أصر أصحاب شريعة موسى على موقفهم الجامد ، وأبوا الاعتراف بالنقص وبالتكملة ، وحذا حذوهم النصارى فإنهم لا يغيرون من الأمر الواقع شيئاً . ولعل الناس بعد ذلك يتأملون في مفارقات التثليث فى رأى الكنيسة ، وفى رأى الاسلام ، الذى لم يقر التثليث لأنه يتنافى مع التوحيد بعد إدراك معناه فى الرسالة الاسلامية . التى استدركت ما أسقط مؤرخوا اليهوديه والمسيحية عن قصد أو عن غير قصد ، مما كان سبباً فى اختلاف وجهات النظر .

فعقيدة موسى ، وعقيدة عيسى ، وعقيدة محمد تمثل ثالوث العقيدة فى الدين الإسلامى الذى يعتبر الدين الكامل ، والذى قال فيه سبحانه وتعالى فى ختام القرآن « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » .

* * *

إن مسئولية رجال الدين تجاه ما أسلفنا من قول على لسان النبيين وعلى ما جاء فى القرآن من وحي الله وعلى ما اجتهدنا فيه من إيضاح لما نعتقد ، رغبة منا فى الوصول بالانسانية إلى حدود الله — تبدو واضحة ، وجلية . فعليهم اليوم يقع عبء انتشال الناس من وهدة الخطيئة ، ومن الاضطراب الذى يعيش فيه أصحاب العقائد السماوية متأرجحين بين الشك واليقين . فما كان لليهود أن ينشئوا دولة إسرائيل باسم الدين ، والوعد ، والعهد ، لأن اليهود ليسوا فى حاجة الى دولة ذات حدود ،

اذا كانوا يرغبون حقيقة فى الحياة ، لأنه ليس للدين دولة ، وان كان للدولة دين . والذى ينطبق على اليهود ينطبق أيضاً على النصارى والمسلمين ... فالدين كله لله ، وحدود دولته هى حدود الله . فأقيموا الحد ، وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا .

* * *

ان نبى الاسلام حين جاءه الوحى ، وأنزل عليه القرآن لم يتجه الى من جاوره من الشعوب اتجاه الراغب فى سلطة دنيوية . فقد كان زاهداً فى الدنيا كما سبق أن شرحنا وكما هو معروف عنه ، فقد كرس ذاته الى الله ، وجهز جيوشه لحرب فى سبيل الله ولم يهيىء للرسالة كنيسة أو خلافه . أو يقنع بحدود أرضية مرسومة لها بل جاوز فى دعوته كل الحدود الأرضيه ، والعصبيـة . ولم يقصر دعوته لله على من أحب حين أحب اذ قال الله له وهو أصدق القائلين « أنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء ». وانما عليك بالانسانية جمعاء . عليك باليهود ، والنصارى والحواريين والمجوس ، وكل من دب على الأرض . قوم اعوجاجهم ، واهدهم الى صراط مستقيم ، وأوصهم بالصلاة ، والزكاة ، ومرهم بالمعروف ، وانههم عن المنكر ، والبغى ، وعظهم لعلهم يذكرون . وفى شرح معنى الآية الكريمة « يا أيها النبى انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ، ونذيراً ، وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيراً » . ما يغنى عن التعليق .

هذه هى رسالة الاسلام دين الله الذى ارتضاه للعالمين . فليس بعد الاسلام دين ، وهذه هى عقيدة الاسلام « انما المؤمنون اخوة » .

ولا توجد بعد الرسالة الاسلامية حدود وفوارق . وانما جهاد فى سبيل الله التزم به من شاء أن يقيم بين المؤمنين ، والتزم الاسلام بحرب الكفار الجاحدين الملحدين المنكرين لنعم الله .

واذا شاء رجال الدين فى الأزهر أن يشرفوا قدر الاسلام فليفتحوا صدورهم ، وليفتحوا أبواب الأزهر لقارئى الكتب السماوية . وليؤد الأزهر مهمته فى تصحيح عقائد المتدينين. فالدين كله لله . والمسلم الحق من آمن بقوله تعالى « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير . لا يكلف الله نفساً الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » صدق الله العظيم .

* * *

أنى لألمح مع شمس كل صباح صوراً جديدة لاضطراب النفس البشرية التى لا حول لها ولا قوة الا بالله ... ففى كل صحيفة ، ومن كل فم ، ألمح وأسمع ترديداً لأنغام نشذة يمجها السمع ، وتأذى منها البصر ،وانسقم منها الوجدان ، لأن الذين يرددونها قرروا من قبل وحدانية الخالق . ومع ذلك نجدهم عاجزين عن التعبير الحاسم المطلق لتحقيق الأخاء الانسانى . كأنهم يخافون أن تتقرر الوحدة فى الدين على غير وعى منهم . وفريق آخر مع الأسف لا يزال يقول بتعدد الديانات بعد ظهور الاسلام متناسين قول الله تعالى « ان الدين عند الله الاسلام »

وفريق آخر أميل الى الاعتدال ينادى بالتقريب بين الدين الاسلامى والمسيحى، كأن هناك تباعدا بين الاسلام والمسيحية. لا بين المسلمين ، والمسيحيين كأفراد . . هذه هى نقطة الضعف التى أحاول جاهداً ومتبسطاً تقرير علاج يقبله المعتلون ، والمصابون بها أيا كانوا وأيا كانت ملتهم أو نحلتهم أو شرعتهم أو منهاجهم . ولعلى أصل الى جعل الناس يستظهرون وعيهم الباطن ليصير عالمهم الذى يتعايشون فيه عالمهم ويبقى الدين كله لله... والله حسبى .

تصحيح لمفاهيم حزب التحرير
في سوريا

تمهيد :

أثناء زيارتى لدمشق الفيحاء عقب زيارة لبيت الله و رسوله ، اطلعت مصادفة على مقال فى جريدة المنار حول موضوع « الوضع المنحرف فى ثقافة العالم الاسلامى » هالنى منه تشعب الأفكار ، والمبادىء ، والآراء التى تحمل فى معانيها معانى جديدة معبرة عما يقاسيه العالم الاسلامى تحت ضربات المطرقة الشيوعية ، وما يعتمل فى نفوس المسلمين المخلصين العاملين من عوامل الحقد والكراهية ، التى زرعتها النازية .. فأدركت أننى مدفوع بعامل قوى للرد على هذا الموضوع

وقد نشرت لى جريدة المنار الرد مشكورة على افساح صدرها للمناقشات العقيدية بعد أن شغل العالم ، وصفحات الجرائد بأمور ثانويه عديدة اكتسبت مع مرور الوقت حق وضع اليد أو الرأى بالتقادم ، وانقطاع الخصومة بالوفاه ..

فى العالمين سوائم تجرى على سنن الطباع　　و بينهما الف و بين المؤمنين رقاب

واقد تسلمت عقب عودتى الى موطنى ، كتاباً من صاحب الموضوع « الوضع المنحرف » يعرض على فيه أن أدرس (مفاهيم حزب التحرير) دراسة عميقة . فلم أكتف بما أوصانى . بل هضمتها عقلياً لأنى أردت أن أربح صيداً لله بعد أن تنكر الناس له . وحمدت الله على أننى وجدت أخوة لى فى العقيدة كنت أتحرق شوقاً للقائهم لأغذى روحى . لذلك عملت على أن أهضم عقلياً مفاهيمهم وأترجم كتابهم : مفاهيم حزب للتحرير . طبعة القدس ١٩٥٣) بحيث أعد هذه الترجمة تصحيحاً لتلك المفاهيم ، فأرجو أن أكون موفقاً .

فى قلب الموضوع

قلبت صفحات «المفاهيم» البالغة ٦٤، وأخترت أن أصحح المفهوم الوارد فى الصفحة ٣٥ من الكتاب والذى يقول :

«والمراد بجميع هذه الآيات وما شابهها بيان أنه صلى الله عليه وسلم ليس بدعاً من الرسل بل أرسل كما أرسل غيره ، وأن أصل التوحيد هو الدين ، وهو ما اشترك به جميع الأنبياء والرسل ، أما ما عدا ذلك فكل رسول أرسل بدين ، قال تعالى ... « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً » .

«وعلى ذلك فإن شرع من قبلنا ليس شرعاً لنا ولا يعتبر من الأدلة الشرعية التى تستنبط منها الأحكام» .

* * *

يفهم من هذه العبارات مفهوم معلول متناقض فلم يقل أحد بأن إرسال الرسول كان بدعة . (قل ما كنت بدعا من الرسل) ولا يجوز أن يقال ذلك على الرسول لأنه المنعوت بالخلق العظيم ، ولم يقل أحد بأن الناس أيا كانوا كفاراً أو مسلمين يكرهون الخلق العظيم ، وان كان يقال أن من الناس من لا يتصف بالخلق العظيم .

وأما القول بأن أصل التوحيد هو الدين فخطأ أيضاً ، لأن التوحيد هو أصل الدين فيجب ألا يفهم خطأ أن أصل التوحيد هو الدين .

واذا قررنا بأن الدين هو ما اشترك به جميع الانبياء والرسل ، فيجب أن تقرر أن الدين الاسلامى وحده هو ما اشترك به جميع الانبياء والرسل .

ولا وجه أن يقال بعد ذلك « أما ماعدا ذلك فكل رسول أرسل بدين » لان

قوله تعالى ... (لـكل جعلنا منـكم شرعة ومنهاجاً) ينفى قيام ديانات غير الدين الاسلامى. اذ يقول تعالى .. « ان الدين عند الله الاسلام » . ولا يعنى قوله تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه) جواز أو وجوب قيام ديانات تخالف دين الاسلام أو تقف معه على قدم المساواة أو أن تـكون هناك ديانات من صنع الناس. فإن قوله تعـالى (ان الدين عند الله الاسلام) يعنى التحديد الصريح لقيام دين واحد ، وهو الاسلام . وعلى هذا الاساس يكون الرسول العربى القرشى هو وحده الذى أرسل بدين . وأما ما عداه من الرسل الذين سبقوه فلم يأت بدين ، ولـكن أتى بشريعة بدليل قوله تعالى (لـكل جعلنا منـكم شرعة ومنهاجاً) .

إن ثمت مفاهيم بداهية نصل اليها ، ونتعمق فيها، فإذا أردنا التعبير عنها أعوزتنا العبارة فابتثرنا القول ، وقصرنا الـكلام على مـدلول معلول فى الوقت الذى نريد أن يكون شرحنا لوجهة نظرنا شاملا . لذلك أحاول أن أبدأ من القلب . متوخياً تحليـل هذا المفهوم .

* * *

الأصل فى أرسال الرسل هو الحاجة الى تبليغ رسالة . والرسالات الربانية ليست كغيرها سهلة الحمل والأداء بل هى فى الغالب تستلزم اختيار الرسول للرسالة كما تستلزم اختيار الرسالة للرسول وفقا لتطور السنن الطبعية للخليقة . فقد أرسل الرسل بالدين للناس ـ أى للخليقة ولا نستطيع أن نفترض ان الدين أرسل للملائـكة لسابق علمنا بأنهم مبلغو شرعة الله للأنبياء .

كما لا نستطيع أن نفترض أن محمدا يجىء الى العرب بشريعة موسى. لان موسى جاء بها قبله أو أن يأتى بشريعة عيسى لان عيسى جاء بها قبله . ومن المعقول أن نقرر و نحن مطمئنون

بالايمان أن محمدا قد جاء بالدين الكامل لأن عليه وحده أنزلت الآية الكريمة (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)... ومحمد وحده من بين الرسل من جاء بكتاب منزل كله شاملا لكل شرعة ومنهاج أتى بها الرسل لكل أمة وقبيلة . مصححا لما بين يدى الناس مما اختلفوا فيه من قبل . وهذا يعنى ألا خلاف فى الدين بعد الاسلام .

(وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون).

فلا خلاف فى أن وصايا موسى العشر هى أصل من أصول التوحيد فى الاسلام وهى كوصايا الهية تعتبر أوامر ناهية أى مبادىء لمفهوم موحد . فهى تكليف لانسان واحد وبالتالى هى تكليف للبشرية كلها (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) . ولا يقلل من شأن هذه الوصايا التى أوحى بها الى موسى أن احدا من المسيحيين لا يطبق نصوص الأحكام التى جاء بها موسى لأنهم أى المسيحيين قد تعلموا من المسيحية درسا روحيا أكمل شريعة موسى الجافة . وان كانوا لم يستطيعوا أن يصلوا فى التطبيق الى اعطاء ما لقيصر لقيصر وما لله لله. فجاء الاسلام بشرعته ليحقق للبشر امكانية العمل للآخرة فى الدنيا . .

وإذا فأصول التوحيد قائمة وموجودة من قبل موسى ولا ينفى انكار الناس أو تنكرهم لها وجودها . .

فإذا أردتم التدليل على شرح قوله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)

بأن شرع من قبلنا ليس شرعا لنا انتهاجا لسنة التطور التى ينص القرآن فى آياته الـكريمة على وجوب اتباعها . . (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يؤمنون) . وأتبعها بقوله . . (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منـكم فانه منهم ان الله لا يهدى القوم الظالمين) . .

فان هذه الآيات لا تنفى قوله تعالى . (وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه . ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون . وأنزلنا اليك الـكتاب بالحق (مخاطبا الرسول) مصدقا لما بين يديه من الـكتاب (أى ما سبق أن شرعه لمن سبقوا) ومهيمنا عليه (أى متسلطا على الشرع والمناهج المعطاه للنصارى واليهود) فاحكم بينهم بما انزل الله (أى بما أنزل من قبل وما أنزل عليك بالحق) ولا تتبع أهواءهم (أى لا تنساق مع ميولهم) عما جاءك من الحق (أى ما أوحاه الله اليك أنه الحق المصدق المصحح لما بين يديك) لـكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا (أى طريقة وخطة ومسلـكا) ولو شاء الله لجعلـكم أمة واحدة ولـكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعـكم جميعا فينبئـكم بما كنتم فيه تختلفون) . . .

كما أن ذكر هذه الآيات مفصلة لا ينفى قيام شرعة التوحيد من قبل بعث الرسل الذين جاءوا بديانات — على حد قول مفاهيم حزب التحرير — وهم موسى وعيسى ومحمد. فإن أصل مبدأ التوحيد فى الدين يقوم من قبلهم ويرجع الى ما قبل تاريخهم بدليل قوله تعالى للرسول (قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا . وما كان من المشركين) ومن نسل ابراهيم جاء موسى وعيسى ومحمد .

فإذا رجعنا الى أصل التوحيد فى الخليقة اتضح لنا أن آدم أول رجل خلقه الله من تراب .وان استخلاص حواء منه لا ينشيء تعدداً فى الفكرة وانما ينشيء تعدداً فى الطريقة ، وأن خلق عيسى بالروح من مريم.مثله كمثل آدم من حيث الفكرة أيضاً . وعلى هذا الأساس لا يجوز أن نقول بأن ارسال الرسل كان بدعة أو أن ارسال محمد برسالة الاسلام كان بدعة . أو أن نستخدم عبارة نفهم منها نحن قبل غيرنا من (الكفار) أن ارسال الرسل برسالات متطورة كان بدعة. لأن الاصل فى الدين هو التوحيد وليس الدين هو الأصل فى التوحيد بدليل قوله تعالى . (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً) .فكل الشرائع التى تنزلت على الرسل الثلاثة هى أصول لدين واحد يدعو الى التوحيد اختلفت طرق وصولها وتبليغها وأزمنتها ، ولم تختلف فى فكرتها أبداً .

واذا رجعنا إلى قوله تعالى .. « إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا (أى الذين سلموا بالتوحيد) ، والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلا (أى لا يكن فهمكم لآياتى ، وأحكامى، قاصراً على ما أنتم فى حاجة اليه دون غيركم لأن حكم الله ليس قاصراً على فئة دون فئة . أو طبقة دون طبقة أو شعب دون شعب لأن الدين كله لله والى الله مرجعكم ، ومرجع كل شيء) ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ».

فإذا كانت الشرائع ، والمناهج تختلف نسبياً عن مثيلاتها بحيث تكون متناسبة مع طاقة الناس على قبولها ، واحتمالها ، وتطبيق أحكامها .فلا ينشيء اختلافها تعدداً لأن التوحيد منطقياً لا يتعدد. ولكن الناس ، والأمم ، والشعوب ، والازمنة، والامكنة

والظروف ، والبيئات ، والحالات ، والحاجات ، والشرع ، والمناهج ، هي التي تتعدد بحكم تطورها .

وقد جعل الله لكل من هذه البيئات ، والأمم ، والشعوب ، شرعة ومنهاجاً لا يخرج في مفهومه على أنه شرح لمفهوم عقيدة التوحيد عند كل منها . ولا يعني تعدد الشرعات والمناهج تعدداً في العقيدة الموحدة ، وانما يعني تعدداً في المذاهب والمفاهيم للعقيدة الواحدة . لذلك كان القول بأن (معرفة حكم الله في المسألة لا تكون الا بالاجتهاد) قولا معلولا لأن أحكام الله واضحة محددة من حيث الأصول ، ولا مجال فيها لمجتهد. وانما الاجتهاد في حالة التطبيق يرجع إلى تطبيق القصاص ، ويقول الله تعالى .(وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والانف بالانف ، والاذن بالاذن والسن بالسن ، والجروح قصاص ، فمن تصدق به فهو كفارة له ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) .

والأحكام الواردة في نصوص القرآن صالحة لحكم العالم كله عجمه ، وعربه . فشريعة التوحيد لا تتغير ولا تتعدد بتغير وتعدد الرسل ، والشعوب . وقد نص القرآن على أن جميع الرسل كانوا مسلمين فلا محل للقول أو الاعتراف بأن ما جاء به الرسل السابقون لمحمد كان مخالفاً للإسلام في شيء بدليل قوله تعالى (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) ، وفي قوله تعالى (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ، ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله. ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً

لكم انما الله اله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما فى السموات ومافى الارض وكفى بالله وكيلا) .

فإذا فهمنا أن الدين كله لله ، وأنه مجموعة شرائع ، ومناهج جاءت للناس وفقاً لافهامهم ليتناول منها كل ما يخصه ويسأل عما يريد الجواب عليه فلا يعنى تعدد السائلين تعدد المسائل حتما فقد تكون حاجة الشعب الى الحرية واحدة فتتوحد المسألة ، ولا يتوحد السائلون . وكل سائل . من الله سينال حاجته فإذا كانت اجابة الله واجبة عليه . فلا شك أنها موجبة للناس .

وقد قيل فى ذلك اذا أخذ ما أوهب أسقط ما أوجب .

* * *

قلنا أن الدين هو مجموعة شرائع ومناهج ، ويقول الله تعالى .(ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه) فالناس اذن لا يبتغون غير الاسلام ديناً كنص القرآن . وان كانوا يتبعون شرائع ومناهج تخالف بعضها الاخرى من حيث تطورهم وارتقائهم، فان الطريق لا يزال مفتوحاً لفهم هذه العقيدة التى تحتم علينا أن ننكر كل دين يخالف دين الاسلام . ويقول تعالى : (قل للذين كفروا أن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الأولين) . ويقول (هذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون) ويقول (وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم ،وصاكم به لعلكم تتقون) .

واذن فتعاليم الاسلام لا تأمرنا بأن ننكر أو نتنكر لشرع من قبلنا ، وانما توصى بألا نتبع مناهجهم لأنها سبقت مناهجنا ، والاسلام دين تطور ، وطريقه الى العقل البشرى ممهد لكل أصحاب العقول ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا (الدين هو العقل ، ولا دين لمن لا عقل له) .

واذا فالطريق إلى فهم العقيدة الاسلامية كدين، يحتم على المسلمين أن يعترفوا بقيام شرائع ومناهج سبقتهم، تخالف شريعتهم ومنهجهم، من حيث ظروف الزمان والمكان والبيئة/ والتطور، ولا تحتم على من كانت له شريعة قبل الاسلام أن يتخلى عنها أو يطلقها بل يتحتم عليه أن يدع منهجه ويتخذ منهج الاسلام طريقة لشرعته. لذلك اعتقد أن عدم اعتراف اليهود أو المسيحيين بالشريعة الاسلامية لا يعتبر كفراً بل هو أقرب الى الجحود الحسي، ظاهره لا يعبر عن باطنه.

ومسئولية المسلم أمام الله تحتم عليه استكمال عقيدة التوحيد من حيت كانت فى البدء، وشرحت لغيره من قبل - أى على المسلم أن يدرس شرائع ومناهج من سبقوه من أصحاب الديانات ليتعرف إلى دينه كحقيقة تقوم على مبدأ التوحيد. فرسالة محمد - بدليل ما يذكره القرآن عن العقائد السالفة ورسلها وأتباعهم - تحتم على المسلم أن يكون ملما بكل إلمامة من أحكام الشرائع التى سنت لغير المسلمين من أتباع محمد كيما يستطيع أن يحكم بين غير المسلمين وأن يكون حكمه مطابقاً لشرعة الناس ومنهاج الاسلام.

فالمسلم مسئول أمام الله عن تبليغ رسالة الاسلام وشريعته ومنهاجه لكل الذين سبقوه من أصحاب الشرائع الأخرى وان كان لا يعترف منطقياً بديانات تخالف دين الاسلام. لأنه اعتبر أن كل رسول أو نبى جاء قبل النبى محمد صلى الله عليه وسلم إنما قد جاء بشرعة من شرائع الدين الاسلامى. وحينئذ فهى بطبيعتها لا تقف على قدم المساواة مع الدين الاسلامى باعتباره الدين الكامل.

وقد يقوم هنا سؤال : هل يمكن أن يكون فهم الله كأولى البدهيات معطلا للاجتهاد؟ كلا بل أنه مفهوم بدهى ليس فى حاجة الى اجتهاد. وأن تفاوت العقول هو المقياس

لمقدار فهمه والا انتفت الحكمة من الشرائع والمناهج .ولكانت كل شروح المجتهدين محررة من كل قيد شارحة لكل مفهوم معلول متناقض .

فالشرائع كلها والمناهج كلها والمفاهيم كلها يجب أن تحقق للانسان ما يسعى اليه . فهو لا يعيش بدون شريعة تنظم علاقته بالله خالقه أو بغيره مما يعتقد . وان كان يتخيل البعض عن البعض أنه ليس لهم الحق فى طلب المساواة فى الحقوق والواجبات فى نطاق علاقات منظمة مرضى عنها . وفهم الله كبديهة ليس اجتهاداً من مجتهد أطلق له عنان التفكير ففكر وشرع ورسم المنهاج . إنما هو الإيمان أولا وأخيراً بكتاب الله الذى استقى منه الانسان بالعقل كل المفاهيم حسب حاجته وبمقدار اجتهاده ووفق وعد الله . فشرعة العقل حين استقرت من قبل أن تكون هناك شرع ومناهج وديانات معروفة كانت قبساً من علم الله، أودعه دماغ الانسان. ولذلك تقرر من قبل أن تكون هناك ديانات أن الله واحد لا شريك له . لذلك نقول أن الاجتهاد حالة بل حيلة يلجأ اليها الذى لا يفهم الأمر بداهة أو الشيء بداهة أو التوقيت بداهة . أما وهو يعلم السر وأخفى فشريعته ومنهاجه رحمة وهدى للناس كى لا يضلوا وكى لا تكون لهم حجة عليه جل شأنه فاذا كفروا بها .. فانه تعالى .. مع ذلك . يقول [لا إكراه فى الدين] ويقول أيضاً [من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر] إذاً فقد صار شرع من قبلنا أساساً لشرعنا ويعتبر فهمه أساسياً لمن يريد أن يستنبط الأحكام والأدلة الشرعية من كتاب الله العزيز , فالديانات المعروفة باليهوديه والمسيحية والاسلامية ما هى الا ثالوث يمثل العقيدة الاسلامية المعروفة بعقيدة التوحيد عند أصحاب الديانات الثلاث أى الدين الأول ـ الاسلام ـ وطالما أننا لا نعترف بقيام ديانات تقف على قدم المساواة مع الدين الاسلامى من حيث الكمال التشريعى لذلك تقرر بأن استعمالنا لكلمة [دين] بالنسبة لغير الاسلام هو من باب التجاوز الي حين

يستقر بالناس فهم المفهوم البديهي . الله . الذي له الدين كله واليه مرجع الناس وهو الذي يقضي بينهم فيما فيه يختلفون .

وأما استنباط الأحكام من الأدلة الشرعية فاجتهاد فيما لم يجيء في صريح النص من أحكام. ومرجعه تطبيق لشرعة العقل دون ما مساس بأصول مبدأ التوحيد .

فإذا كانت بعض البلاد العربية من شرقية وغربية وشمالية وجنوبية لا تطبق نص الشرع في جرائم السرقة فلا يعني ذلك حتما و بالضرورة أن الذين لا يطبقون النص لا يطبقون شريعة العقل. أو أن الذين لا يطبقون النص يطبقون شريعة العقل . فانما جرى الناس على الاجتهاد في التطبيق . واتخذوا من الشرائع الدينية حدوداً قياسية ، لا مقاييس فصلية . فاذا قيل بأن القياس هو الحكم . فقد يحسن بعض الناس تطبيقه أو يسيئونه. ولا يعتبر اجتهادهم في التطبيق سبباً مباشرا أو غير مباشر لصلاحية المقياس الذي اختاروه . و إنما الخطأ أو الصواب يرجع الى مقدار فهمهم عند القياس أو عند الاختيار والتطبيق .

فالشرائع السماوية كلها قابلة للتطبيق في نظام الحكم في الاسلام، ونظام الحكم كالرأس، لا يمكن أن ينفصل عن الجسد الا إذا كان النظام مجرد اجتهاد في تخيل جسم قديم أو حديث. وأن تغير الرأس مع بقاء الجسم كما هو، مسألة خيالية أيضاً قد ينشأ عن تطبيقها شذوذ على القاعدة .

ولعل الدول العربية التي لا تطبق الشرع الاسلامي كنص، والتي استمدت قوانينها من القوانين الغربية قد رجعت في عدم تطبيق النص الى هدى القرآن أيضاً من حيث يقول الله تعالى : [رحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون و يؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا هم يؤمنون ، الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف و ينهاهم عن المنكر و يحل لهم الطيبات

ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم أسرهم والأغلال التي كانت عليهم. فالذين آمنوا به، واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون) . وقوله تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وقوله تعالى (إن الله غفور رحيم) , وأن بعض البلاد التى تطبق النص كحد ، دون أن تمر بتطورات الوصول إلى فهمه حتى لا تكون فتنة ، فقد تجد أن التطور منها بعيد .ولذا فهى تطبق النص مادام الشرع يقره كأساس للحد ، وليس هذا هو موضوع بحثنا هنا .

ولعلنا نلاحظ أن تطبيق نص الشرع الإسلامى فى المملكة العربيه السعودية ، ينفذ الآن بيسر دون ما حاجة إلى تقنين حديث أو مستحدث أو لجوء إلى اجتهاد واستمداد من الشرائع أو المناهج الغربية أو الشرقيه غير الإسلامية ، كرمز حدودى لشريعة السن بالسن ، والعين بالعين . فالبيئة التى تعيش على الفطرة والتى لم تختلط بالمذاهب الغربية والشرقية المنافية لروح الاسلام ، تستطيع أن تهضم بسهولة أحكام الشرع الاسلامى وتتمسك بها ، ولا تقبل عنها بديلا من المذاهب الأخرى .

وحين نحاول تطبيق الشرع على السنيين فى لبنان أو سوريا أو شرق الأردن أو العراق أو مصر؛ نصطدم حتما بالتطور . فهذا النص الذى يعود بالناس إلى الفطرة الأولى التى فطر الله الناس عليها يصطدم حتما بممارسات العقيدة التى استلهم الناس منها الرحمة ، ونجد أن تشبيه حالة الناس اليوم — فى هذه البلاد — بحالة كفار قريش ، تشبيه مبالغ فيه ، مغالى فيه ، وأنه تبعاً لذلك لا محل له . فإن شرعة العقل الذى أصبح ديناً بعد مجىء النبى محمد برسالة الاسلام ، تحتم علينا أن ننفى من عقول الناس ، وبالتالى من شرائعهم . ومناهجهم ، ما يتنافى مع شريعة السلام التى جاء بها الاسلام. ومن الملاحظ أن لكل باحث فى هذا الشأن فكرة وطريقة ، وأن الداعية للدين

الاسلامي يجد ترحيباً لدعوته ، إذا اتسع أفق فهمه لمن يدعوهم إلى الاسلام . لذلك يقتضى الاسلام من أتباعه ، وحملة رسالته ، أن يسايروا روح العصر ، وأن يتفقهوا فى تعاليم الاسلام ، على قاعدة صحيحة ، تتفق مع مقتضيات الحال ، الذى يعيشون علية إذ أن تعاليم الاسلام كنصوص ليست مجردة من الروح ، وروح الاسلام لا تحتم قطع يد السارق فى كل الحالات بدليل قوله تعالى (والجروح قصاص) . فعمر رضى الله عنه لم يقم الحد على غلام حاطب الذى سرق ، وانما هدد حاطب ، أن يعود لاهمال غلامه ويعطيه مايغنيه عن السرقة وللحاجة . بل ذهب إلى أبعد من ذلك فى تعطيل بعض الحدود للاقتضاءات الاجتماعية والاقتصادية . ولا يعيب الاسلام على الذين يطبقونه التسامح من باب الارشاد ، فسيحاسب كل على عمله و يقول الله تعالى (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) ويقول جل شأنه (ولا تزروازرة وزر أخرى)- تفسير مسيحى فى قطع أذن العبد . ولا تداوى الجريمة بجريمة. وقد نبه سبحانه وتعالى الرسول ، وعلمه مفاهيم عدة لأوامره كقوله تعالى (عليك البلاغ وعلينا الحساب) وقوله (إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء) وقوله (ما أنت عليهم بوكيل) وقوله (ماعلى الرسول الا البلاغ) الى آخر ماجاء فى الكتاب الكريم . ولعل هذه الآيات بمفهوماتها البدهية فى غير حاجة إلى اجتهاد المجتهدين أو تعذير المخالفين ، فنصوصها أحكام . والتزام المسلمين بها واجب . ومخالفتها غلو فى فهم المفاهيم البدهية ، قد يؤدى بنا إلى ارتكاب حماقة الظلم والعنت والارهاق دون ما تبصرة . فكل المفاهيم المؤدية الى فهم الله كحقيقة بدهية تؤدى بنا الى فهم الدين على حقيقته ، وتوحى بأن الا كراه لا يمكن أن يؤسس عليه شرع والا أصبح هذا الشرع مكروهاً و يقول تعالي (لا ا كراه في الدين) .

والدين الاسلامى دين سلام وتقوى ، والتسليم بما أنزل الله على الرسل والنبيين لا ينفى قول الله تعالى (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن) و (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد ، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) .

الاسلام بين الدين والسياسة

اذا قررنا بأن الاسلام دين وسياسة ، فالسياسة الدينية كمبدأ هى وسيلة لكسب الأنصار بالحجة والبرهان واليقينية ، لا بالعنف أو بالسيف . فقبل أن يكون عقوبة يجب أن تكون تعاليم ، وارشادات ، وتذكير ، وتشبيه بالأمثال . وليست السياسة الدينية كالسياسة الحزبية . فالسياسة الحزبية تؤدى الى تقلد المناصب فى الدولة أى فى السلطة الزمنية ، والسلطة الزمنية غنم شخصى بالنسبة للناس. وأما السياسة الدينية ، فتؤدى الى هداية الناس الى المراتب العلوية فى الحياة الأخرى . والتناحر الحزبى ليس تسابقاً على فهم المفاهيم الروحية بل تسابق لغيرها من المفاهيم الارضية . أما التنافس فى الوسائل للوصول الى فهم المفهوم البدهى ... الله ... فممارسة لعقيدة ، تعد الانسان بحياة أخرى لا مادة فيها ، ولكنها الحياة الروحية الباقية . والناس لا تتناحر فى الله ، ولكنهم يتسابقون لنيل رضائه . وهم لا يصلون الى حد الله الا عن طريق الفكر والعقيدة والعمل الصالح . وكل مخلوقات الله ترجع الى خلقه الاول وهو واحد فإذا رجعنا الى هذا الواحد كنقطة ابتداء لوجدنا أنفسنا أمام خالق له ما فى السموات وما فى الارض وهو الغفور الرحيم .

ان التعصب للدين ، لا يعني التعصب لله . فالدين في حاجة الى من يحمل رسالته ، وليس الله في حاجة الى أحد . لأنه الأحد . و بالتالي ليس الله في حاجة الى تعصب المؤمنين به ، ولكننا نحن الذين في حاجة الى رضائه ، وحبه لنا ، فلو كان حبنا له تعصباً ، لامتلأ حبنا بالحقد على الغير ، وهذا يناقض حقيقة حبنا لله ، لأن حب الله يجب أن يكون خالصاً له . فإذا تأملنا في خلق الله للإنسان بعد خلقه للملائكة ، فهل نفهم من هذا أنه سبحانه وتعالى لم يجد في الملائكة من يصلح لتعمير الكون؟ هذا الجواب اجتهاد من العقل لا من الشرعة والمنهاج الديني . فالله سبحانه وتعالى خلق الملائكة لتنفيذ تدبيره في ملكوته لأنه الواحد الفرد . والملائكة هم جنود الرحمن الواحد الفرد في ملكوت الله . وهم لا يفنون . لأنهم مخلوقات هيوليه ، وان كانوا يتحولون . فإبليس كان ملاكا وتحول الى شيطان لأنه لم يصدع لأوامر الله .. أما من شاء من عباده أن يتكبر أو يتجبر أو يطغى كفرعون — فقد أغرقه الله .

ولو رجعنا الى تفسير لاسم آدم وحواء وقابيل وهابيل بالكردية ، لوجدنا أننا أمام تصور لقصة خيالية رائعة حيث تفسر الكردية كلمة آدم بـ« كديم » . أي « قديم » وكلمة حواء بـ« هافاء » أي « هواء » . وكلمة قايين بـ« خائن » وكلمة « هابيل » بـ« آبيل » ... أي الملاك ولنفرض أنها تفسيرات خيالية فعلا فهل نستطيع أن ننكر أن الخيال هو الحقيقة الأولى ؟ .

حتى بالكردية — وهي ليست مرجعاً لنا بعد تنزيل القرآن بالعربية وهي لغة إقليم — نستدل من مفهوم آدم وقديم — الأديم هو القشرة الأرضية وأديم الانسان جلده — أن الله سبحانه كان موجوداً قبل الوجود فهو سبحانه الذي أوجد الوجود ، ولا نستطيع أن نفهم من آدم جدنا القديم ، أنه خالق لأنه مخلوق ، أو أن اسمه آدم . لأنه مشتق

من كلمة دوام — للمشاكلة الحرفية بين هاتين اللفظتين — فالدوام بالنسبة لآدم حال والحال لا يدوم . فالحال ظرف ، والظرف يعنى التغيير ، والله سبحانه وتعالى يغير ، ولا يتغير . وعلينا أن ندرك بعد هذا أن الله خلق آدم على صورته كبشر ليعمر الكون وركبه من طين وماء مهين ليكون ملتصقاً بأصله ، وأصوله ، الى الأرض ليحبها لأنه منها . ويرجع اليها فهو يعيش عاملا على البقاء فيها . ليعمرها حتى تأتى ساعته حين يكون قد فقد طاقته على البقاء ... وهكذا نرجع لتفسير الكردية لآدم كقديم الى تصور أن الانسان هو صانع الانسان ، وقد نكون محقين فى هذا التصور لو لم تجيء الشرائع السماوية فتهدينا الى أن الله هو الصانع الأول المبدع المصور ... فآدم كأصل لنا يبقى ذكراً ومرجعاً ونحن له فروع مستنبطة متوالدة من هذا الاصل . ولكل منا شرعة ومنهاجا .

ولعلنا ندرك الآن - ولو الى حد ما ، أن صلة الانسان بالخالق وعلاقته به قد أتت كنتيجة منطقية لفكرة الله التزمتها أصول شريعته فى التوحيد . وأنه — أى الانسان — فلقتان لنواة واحدة . تشق من تلقاء ذاتها وتلتئم من تلقاء ذاتها أيضاً لتكمل ذاتها ؛ ولتستكمل شريعة خلقها وتكوينها ... ولكنها مع ذلك لا تتصرف من تلقاء ذاتها لا فى حالة انشقاقها ولا فى حالة التئامها بل هى ارادة الله التى جعلتها مخلوقة من الارض أى من التراب والماء ، فلولا نفخ الله فى الانسان لما استطاع الانسان أن يستكمل ذاته أبداً — إن مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض » فإذا كان بين الملائكة من تحول الى شيطان فإن بين الناس من ارتقى إلى مراتب الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

والدين كمجموعة شرائع بعث بها الله الأنبياء والرسل للطبقة الثالثة من الناس — لم

يكن يوماً ما ضرورة للصالحين كما لم يكن علماً سابقاً للنبيين والمرسلين. إذ لم يقم دليل واحد على أن أحد الانبياء أو الرسل، الذين نعرفهم، كان فى أساس تكوينه ملكا أو شيطاناً تحول الى نبي . وإذاً فالرسالات السماوية ليست بدعاً ، والرسل ليسو بدعاً ، وتعدد الشرائع ليس بدعاً وانما البدع أن ننكر أصولنا الموحدة التوحيدية إذ ننكر أن شرع من قبلنا هو أيضاً شرع لنا فكل الذين جاءوا ليعمروا الأرض ولا يملكونها هم فى مصاف الأنبياء أيضاً، الذين جاءوا ليؤدوا الرسالة . ففكرة الخلق والخليقة وطريق خلق الخليقة وإحيائها وإنهائها هى من مكنونات السر الإلهى الذى لا يعلمه الا علام الغيوب . دون ما مطمع في الدنيا ينالونه عن طريق خلط السياسة بالدين .

واذا قلنا بأن الدين لمن لا يريد أن يفهمه كمجموعة شرائع ، التزم بها الخالق باعتباره خالق الخليقة — فلا أقل من أن نعتبر الدين منهاجا دراسياً تنمو مفاهيم الانسان له كلما نما وتطور. والعلم به غاية لا يشبع منها الانسان أبداً . فنحن لا نعلم ما يعلمه الله. وكل ما نعلمه هو من علم الله ، وان ظللنا لا نعلم كيف خلقنا الله فى أول صورة ، وأول تكوين (وان شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) . وإذا كنا لا ندرك الله كقوة غير محدودة فلا يعنى أن تقصر اجتهادنا على اقرار وجوده بتعنت. فنكون ملكيين أكثر من الملك ـ فإنما اصطنعنا الله لنفسه . وجعلنا نعمل ونصنع ونخترع ونبتدع، مستمدين القوة على كل ذلك من قوته غير المحدودة . حتى اذا ما توصلنا إلى حصر الطاقة الكونية ـ كما خيل لنا عندما اكتشف علماء الذرة طريقة حصرها . فإننا ما زلنا نسعى للوصول الى القوة التى تفوق الطاقة الكونية قوة . الى الفهم الذى يجعلنا نطمئن . الى السعي المتواصل . الى

الصلاح ... الى الفكر الذى يصور لنا الحياة الدنيا كمادة لا قيمة لها بغير وجود الله .

وبما أننا لا نتساوى من حيث القوة على الحياة أى على العيش والتعمير فى الأرض والسيطرة على أنفسنا وعلى عباد الله الآخرين . فذلك لأن طاقتنا على البقاء معمرين فى الارض محدودة إذا قيست الطاقة الكونية التى نستطيع حصرها فى وعاء ما بعدد الذين يستطيعون أن يتخيلوها، فلا شك أن مقياس علمهم سيظل أيضا غامضاً ومجهولا بالنسبة للروح ، التى يحيا بها الانسان ، والوضع الذى يجب أن يعيش عليه . ويقول تعالى (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركّبك) . ولو تأملنا قليلا فى الأجسام التى فارقتها الروح لأدركنا كيف أنها عند ذلك تكون أكثر ثقلا وأقل مقاومة ، بينما الأجسام الحية التى تسكنها الروح أخف ثقلا وأقدر على المقاومة . فإذا ما صمتت أحاسيس الحياة كلها وانقبضت مواردها من الأجسام ، فان ثقلها يخف تدريجياً إلى أن تصبح ذرات رماد .

وبما أن الملائكة مخلوقون من أجسام هيولية . فإن قدرتهم على البقاء أو على التحول تعتبر منطقياً علماً مستساغاً. لأن الهيولية ليست مادة من مواد العدم، بل هى مادة من مواد الوجود فى حدود ما نعرف عن الروح التى يقول فيها الله سبحانه وتعالى (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا).

هذه هى مفاهيم أقل تعقيداً من مفاهيم حزب التحرير التى أطالعها فى كتابكم من منشورات حزب التحرير . وأرجو أن يكون واضحاً أن (عدم فهم الفكرة الاسلامية من قبل القائمين بالنهضة فهماً دقيقاً) و (عدم وضوح طريقة الاسلام لديهم فى

تنفيذ فكرته وضوحاً تاماً) و (عدم ربطهم الفكرة الاسلامية بالطريقة الاسلامية ، ربطاً ممكناً غير قابل للانفصال ، لايعني قيام حزب يتهم الناس بالكفر إذا كانوا غير مسلمين، أي مؤمنين بمحمد رسول الاسلام لأسباب عدة . منها ماهو واضح فى مفاهيم حزب التحرير عن عوامل التغشية التى بدأت فى أوائل القرن الثانى للهجرة من قبل أن تكون هناك فاشية أو ديموقراطية اشتراكية أو شيوعية أو قومية أو عربية أو شرقية أو غربية . وليس صحيحاً أن علماء المسلمين قد تأثروا بالفلسفات الهندية ، والفارسية واليونانية . كما تقول مفاهيم حزب التحرير مما (حملهم على ارتكاب محاولات للتوفيق بين الاسلام الا فيما اجتهدوا فيه من مؤلفات لا نستطيع أن نعدها وإنما هى معبرة عن الإسلام كوحدة فكرية) .

فكتاب الإسلام وهو القرآن ، وهو ما يجب أن يكون مرجع كل باحث عن الفكرة والطريقة الاسلامية ، لايزال للآن كتاباً مصوناً لم يمسه أى تعديل، بل ومغلق لم يفتح بعد ، بالنسبة لأكثر المجتهدين ، الذين خيل اليهم أنهم قد وصلوا الى مفاهيم الإسلام بطرق فطرية ، من حيث أنه دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها . فإذا كان أكثر ما كتب فى الثقافات الاسلامية لم يتعد اجتهاد الكتاب والعلماء الذين أرادوا أن يبسطوا وجهات نظرهم فاستأثروا فى فهم معنويات تخالف الشرع الاسلامى كثيراً من حيث الروح والمعنى ، ولا تخالفه من حيث النص. فلا يعنى أيضاً أن الدين الاسلامى لكى يعيش و يستمد الحياة من العربية كلغة ، ومن العرب كدعاة ذلك لأن تنزيل القرآن بالعربية على العرب ، لم تكن حكمته مجردة ، بل تحمل معنى أن الله قد خاطب الناس بلغاتهم. وأن الناس تبعاً لذلك يجب أن يخاطبوا الناس بلغاتهم والمجتهدون الذين انحرفوا بتعاليم الاسلام بعد أن استندوا إلى الشرع والدين الاسلامى

ليحملوا الناس على الأخـذ بآرائهم ، لا يمكن أن نعتبرهم أئمـة ودعاة ، لأن منهم الوصوليين والظلاميين ، وعشاق المناصب والمغرورين ، والأغنياء والفقراء على حد سواء . ولا شك أن هذه الجماعة قد تنـكبت الطريق نحو الهدف ولم يبرز من بينها واحد خلف الرسول فى طريقته الى الدعوة الاسلامية .وقد روى عن الإمام على رضى الله عنه أنه قال (الفقهـاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا فى الدنيا ويتبعوا السلطان فإذا فعلوا ذلك احذروهم) .

ترى كم من الحـكام الذين خلفوا الصحابة قد تمثلوا بالصحابة فى الطريقة التى ربطوا بها بين الفـكرة والطريقة الاسلامية ، ربطاً محكما غير قابل للانفصال ؟ . . مهما قيل فى هؤلاء الحـكام فإنه يقصردون بلوغ درجة من درجات الـكمال التى وصل إليها أصحاب الرسول .

فاذا قيل الآن بأن ثمة حزب للتحرير يقوم على الدعوة للفـكرة الاسلامية لربطها بالطريقةالاسلامية فى الحـكم، فان هذا الحزب يتنـكب الطريق الى الهدف الاساسى الذى يدعو اليه لأن هدفه الحكم على نظام سياسى دينى ، وقد انتهى زمن السياسة فى الدين حين بدأت المذاهب الاقتصادية والاجتماعية تبرز فى المجتمع فى شكل جماعات تدعوا إلى اتباع طريقة تعتقد هى أنها كفيلة بالوصول بالناس الى الهـدف الأسمى أو المثالية أو الـكمال النسبى . فاذا خلطنا السياسة بالدين الآن لازداد الامر علينا اختلاطاً ولأصبحت العقدة التى نحاول حلها مركب نقص معقـد لا سبيـل لحله الا بتوحيد الطريق لا الخطة إلى الهدف . وإذا كان الحزب — حزب التحرير — (يرى أنه يجب أن يعرف الناس السياسة ، وأن تظهر عليهم التربية السياسية) فـكأنه يحتم على مريديه أن يقبلوا شمول شرعتهم ، ومذهبهم ومنهجهم

المعطى لهم من الله لشرائع ومناهج جديدة ، معطاة لنا من أنفسنا ، وفى هذه الحالة يعلّ الحزب مبدأ التوحيد من حيث هو يريد اقراره كأساس . فالعقيدة الاسلامية من حيث هي، شرعة ومنهاج، اختتم الله بها شرائعه ومناهجه التى أعطاها للعالمين ، وأصبح الامر اجتهاداً بعد ذلك . اجتهاد يفسر على أنه تعقيد فى فهم العقيدة البدهية.. اذا قيل بعد ذلك أن (السياسة هى أن ترعى مصالح الامة جميعها داخلية وخارجية وأن تسير تسييراً اسلامياً ليس غير ، وأن يكون ذلك من قبل الدولة ، ومن قبل الأمة ، تحاسب فيه الدولة ، وحتى يتأتى ذلك عمليًا لابد أن يكون الحزب هو الذى يتولى ذلك فى الامة ، وفى الحكم ،ولذلك يحمل الدعوة فى الاسلام دعوة شاملة و يبين للأمة الأحكام الشرعية التى تعالج مشاكل الحياة ، و يعمل بأن يحكم للإسلام وحده ، ويجاهد الكافر والمستعمر لقلعه من جذوره ، ويكافح علماء الاستعمار سواء الذين يحملون قيادته الفكرية ومبادئه ، والذين يحملون سياسته وأفكاره) . فان هذه الرغبة بل هذه الغاية لا يمكن أن يحققها حزب واحد فى أمة فيها أحزاب تعمل لصالح أعضائها . فان حزب الله يعمل من أجل الله أو هكذا يجب أن يكون . و يقتضى منطق الدعوة السليمة لحزب الله أن يقوم أولا على انكار وجود الأحزاب السياسية وأن يقوم على استنكار استقلالية الشخصية المعنوية التى يتمتع بها رجال الديانات غير الاسلامية فى بلاد الاسلام مع الاحترام القائم لشرائعهم . كما كانت الحال فى مبدأ ظهور الاسلام الذى منح المفاهيم والمعتقدات التى كانت سائدة قبل مجيئه وقبل وجود أهلها بين ظهرانى أهله و بلاده . ومن نقطة الابتداء هذه نستطيع أن ننطلق فى الدعوة التحريرية لنؤلف بين قلوب المسلمين تنفيذاً لسياسة الاسلام الصحيحة ، وطريقة الاسلام الصحيحة من حيث هو الدين الذى ارتضاه الله

للناس على اطلاقهم . فشمل الذين عاشوا فى الماضى ، وعاشوا فى حاضر الدعوة الاسلامية كما شمل الدعوة للاسلام فى المستقبل .

ودراسة الفكرة الاسلامية اليوم على ضوء ما نحن فيه وعلى ضوء ملاحظة مفاهيم حزب التحرير القائلة (فإنه ينبغى أن نلاحظ أن الفارق بين أهل مكة ودعوتهم للاسلام و بين المسلمين الآن، ودعوتهم لاستئناف حياة اسلامية ، هو أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يدعو كفاراً للإيمان ، وأما الدعوة الآن فهى دعوة المسلمين لتفهم الاسلام والعمل به ولذلك كانت الدعوة الآن أسهل وأقرب) .

هذه الملاحظة من ملاحظات حزب التحرير توحى بأن هذا الحزب يرى أن كفاح المسلمين اليوم يجب أن يتجه الى تكتل المسلمين فحسب . أما الدعوة ـ دعوة الاسلام ـ للكفار لأن يؤمنوا فلم تعد اليوم ذات موضوع بالنسبة للدين . ألا أن المسلمين الآن والى يوم القيامة مسئولون عن تبليغ رسالة الاسلام للعالمين سواء كانت الدعوة لتفهم الاسلام والعمل به بالنسبة للمسلمين بالذات أو الدعوة لغير المسلمين من الذين يعيشون فى البلاد الاسلامية لتفهم الاسلام ، حتى لا يكون هناك اضطرار يحتم على المسلمين أن يهجروا ديارهم ، لأن الحكومات التى بيدها مقاليد الأمور فى ديارهم لا تطبق الشريعة الاسلامية بالطريقة الاسلامية ...

ففى مثل هذه الهجره لا تتحقق رسالة الاسلام لان الهجرة فى سبيل الله هى حركة فتح لا حركة أنطواء أو إختباء أو تهرب من حاكم ظالم مستبد لايطبق تعاليم الاسلام. ليست اذن الدعوة الاسلامية دعوة خاصة بالعرب لأن القرآن أنزل عربيا ، لأننا مكلفون بتوصيلها و حملها الى كل الناس من عجم ومن عرب، بمختلف اللغات . لكى

تكون فى متناول مفاهيمهم فيكون هناك مسلمون فى الهند وفارس والصين وأمريكا وأوروبا وفى كل مكان . لايحسون بعجز أوقصور فى الدعوة الاسلامية وفكرتها وطريقتها وشريعتها .

إذا تأملنا قليلا بصراحة اسلامية و بساطة اسلامية لوجدنا أن الدعوة الاسلامية قد صححت مفاهيم وأحكام كل الشرائع والمناهج التى سبقت الاسلام . فلم يهضم الاسلام حق أحد من أهل الكتاب . حتى ولا حق الكفار الذين جاءهم الرسل والهداة فلم يقبلوا رسالتهم أو قبلوها على ضيم ، ولم يعملوا بها أو عملوا بها ، وهم غير مؤمنين بها . فاذا كان الاجتهاد بالشرع لا يتأتى الا باللغة العربية لأنها (شرط اساسى فيه) فما علينا الا أن ندعو أولا لتعلم اللغة العربية وأن ندعو لها لكى تصبح لغة عالمية يفهمها ويفقهها جميع أصحاب الشرائع ومعتنقيها ومعتقديها . ان فى عالمنا العربى علماء و بطارقة ورهبان وكهنة وقسيسين وأحبارا ، كلهم متفقهون فى اللغة العربية لأنهم من أصل عربى حتى اليهود منهم . فلم لا نقطع الطريق على الاستعماريين الذين يحاولون عن طريق المؤتمر الاسلامى المسيحى تقريب وجهات نظر المسلمين نحو المفاهيم الغربية الاستعمارية ؟ . .

فإذا كنا فى عجز أو فى حالة عجز عن سلوك هذا الطريق السهل القريب . فكيف نتحدث عن مفاهيم للفكرة الاسلامية والطريقة الاسلامية فى حكم الامم والشعوب ؟ أما أن هذه الرسالة قد تنزلت بالعربية على العرب فلحكمة يعلمها الله وقد منحنا المقدرة على فهمها . .

فتنزيل القرآن بالعربية برهان قاطع ودليل ناصع ، أتى به الله سبحانه وتعالى للعرب الذين اختلط عليهم ـ قبل مجيء الرسول ـ أمر التوحيد بعد أن دعت الكنيسة الى عبادة الله عن طريق الثالوث، ويقول تعالى فى هذا (لقد كفر الذين قالوا أن الله ثالث ثلاثة) .

واذا أدركنا أن الاسلام ، بل الدعوة المحمديه للاسلام ، قد جاءت في غضون ستة قرون فقط من مجيء الدعوة المسيحية ، وقبل أن تستقر للمسيحية قاعدة ابان خلاف قام بين الشرق والغرب حول التوحيد والتثليث والتوقيت لتستقر السنة القمرية وينتهى الخلاف فى التوقيت . وفى ذلك يقول (ان عدة الشهور عند الله اثنتا عشر شهراً) . فتكون الدعوة — دعوة الله للعرب بلسانهم ولغاتهم — مفهوما بدهيا أدركته عناية الله ولم يستطع رجال الدين للآن ادراك مفهومه .

فهل آن الأوان اليوم لقيام نهضه اسلاميه صحيحه تعيد النظر فى بعض الشروط التى نص عليها الله فى احكامه فى القرآن من حيث معاملة الأجانب عن الاسلام ؟.. اننا نقرر ان الدين عند الله الاسلام كما جاء فى نص الكتاب . ونقرر بأن مفهومنا هذا تسليم للامر الواقع . ونقرر أيضا بأن لاحيف ولا ظلم ولا عنت ولا أكراه في الدين . .

وعلى هذا الأساس يكون المفهوم البدهى للاسلام معبرا عن الكمال في الدين، كطريق لاستكمال الشرائع الربانيه . ولا محل مطلقا لشريعة يضعها كارل ماركس أو أنجلز أو جان جاك روسو أو هيجل أو هتلر أو موسوليني أو جان بول سارتر أو غير هؤلاء.. فالاسلام غنى بمبادئه ، غنى بروحه ، موفق فى هديه ، عادل فى أحكامه وتطبيقه

فكريا وعمليا عن طريق الاقناع العقلى ولافائدة من معالجة القتل بالقتل والجريمه بالجريمه، لان الاسلام دين سلام وليس دين حرب . الا على الكفار الذين آمنوا ثم ارتدوا ، لا الذين لم يدخل الايمان قلوبهم بعد .. والفئةالأولى هى المقصودة بقوله تعالى (وأعدوا لهم ماأستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو اللهوعدوكم) والناس فى شرعة العقل لايتعادون الا بعد ممارستهم لمفهوم وانتقاض بعضهم عليه .

وقد جاء الغرب مئديا الى الشرق باحثا عن الروح ومصدرها لانه ليس بطبعه مصدراً للأشعاع الروحي ، بل منعكسا عليه . فلما وجد الغربيون المسلمين وغيرهم من سكان الشرق يفتقرون الى المادة بسبب افتقارهم الى العلم ، وتبين لهم أن العرب لايطمئنون اليهم لأنهم لايفهمون لغاتهم ، وبالتالى لايعرفون عن مبادئهم الاجتماعيه شيئا . ومادام الدين لايكرز به أحد أو يدعو اليه ، بل أن الحكومات العالميه تعتبر أن الدين لله وأن الناس احرار فيما يعتقدون . . إذن فليعلّموا هؤلاء وأولئك شرائعهم الاجتماعيه والسياسيه . فاذا ماحدث ذلك ، رجع المسلمون الى كتابهم بله دستورهم القرآن ، يستلهمونه الوحى والارشاد . ففسروا القرآن بروح الزمن الذى تنزل فيه . فكان التخبط والشعور بأن الغرب الاجنبى عن الاسلام . . كافر . .

ان تقاليد الشرق وعاداته ولغاته تخالف بحكم طبائعها وبيئاتها تقاليد وعادات ولغات الغرب . هذا الغرب الذى كان قد ارتشف من مناهل المسيحيه فكرة عن الروح تعوزها الطريقه المثلى لتجعل من هذا الينبوع المسيحى للعقيدة الروحيه بالله شريعة يمكن تطبيقها تطبيقا عمليا . الأمر الذى اقتضى أن يرسل الله سبحانه وتعالى محمدا برسالة

الأسلام ليهدى الملحدين الذين لم يصل الايمان الى قلوبهم وليهدى الضالين الذين أشركوا عن جهل وأولئك الذين آمنوا ولم يستقيموا فارتدوا عن ايمانهم وحادوا عن الصراط المستقيم .

لقد أثرت هذه العوامل كلها فى نفوس الغربيين الذين جاءوا إلى الشرق ، باحثين فاحصين هائمين. تحدوهم الرغبة فى الوصول إلى مصدر النور السماوى الذى حكى عنه الرسل، وكأنهم يبحثون عن تفسير لآية الله الكريمة (الله نور السماوات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء) .

فلما لم يستطع الغرب أن يلتقى بمن يدله ويرشده من أئمة الشرع الاسلامى ، لم يجد محيصاً من البحث بنفسه ولنفسه . بوسائل علمية بحته . مما أنشأ عند الغربيين عقدة جديدة ،هى عقدة النبوغ التى تعتمد فى تركيب بنائها وهدمه على شرعة العقل قبل أن يصبح ديناً .

وقد أوضح الاسلام معنى الدين بالنسبه للعقل فى مبدأ القول بأن الدين هو العقل ، وأن لا دين لمن لا عقل له . غير أن الغرب قد تجاهل إلى حد بعيد قيام الدين مقام شرعة العقل والفرق واضح بين الشريعه والشرعه . فالشرعة هى جزء من الشريعه والشريعة — كدين — تمثل مجموعه من الشرع لذلك كان القول فيما سبق بأن الدين الاسلامى يمثل — كشريعه — كل الشرع التى سبقته قول يهضمه العقل وترتاح اليه النفس .

ولا أعتقد أن أحداً ما من رجال الاسلام فى العصر الحديث قد حاول خوض غمار هذا البحث توصلا إلى إقرار شريعة الاسلام كشريعة عامة للعالمين .

فعقدة النبوغ انطلاق نحو الابتكار ، والتجديد ولا تعرف حداً لانطلاقها . وعقدة النقص إنما هى معنى من معانى الجمود التى لا تعرف طريق الانفكاك عن ذاتها ، ولا تحاول الانطلاق . وإننا نرى أن الربابنة الذين تألبوا على سفينة الشريعة الاسلامية للآن لم يكن هدفهم الا الوصول بطرق اجتهاديه الى مرفأ محدود فى نطاق غير محدود ، لبحر زاخر من العقائد الوجوديه الملموسه نعبر عنها بالعقائد السياسيه والاقتصاديه التى كانت ثمرة المذاهب السياسيه وخلط السياسه بالدين . وليس العيب الذى نحن بصدد اصلاحه قاصراً على المسلمين ، ولكنه يشمل أيضاً المسيحيين واليهود . فالتعاليم الكنسيه لا تزال للآن تنهى تلاميذها عن اتباع مبدأ المساواة الاجتماعيه فى الانسانيه . فلتختلف الديانات فى مسالك طرقها ما دامت تؤدى إلى الطريق الحق ، أما أن يحاول اليهود خلق وطن قومى فى دولة اسرائيل ، ويحاول المسيحيون اقصاء المسلمين عن أواسط أفريقيا وجنوبى السودان ، حيث لا يزال الناس على الفطرة ، ولا يجد هؤلاء حرجاً فى الاستمرار على هذه الخطة ، طالما كان المسلمون أمثال دعاة حزب التحرير فى الشام ينعتون غير المسلمين فى أى جهة بالكفر ... لذلك أحب أن أسجل هنا على سبيل المثال لا الحصر بعض توجيهاتى التى لا مفر لى من اثباتها بعد اطلاعى على وجهات نظر اخوانى المسلمين من أعضاء حزب التحرير وهى تنصب على آرائهم فى الثقافات الغربية والمذاهب السياسية الشيوعية والفاشية والنازية والقومية الاجتماعيه .

إذا لاحظنا أن الأمم الغربيـة المستعمرة للشرق أمم حرة فى نطاق أرضها لأدركنا أننا أمام موضوع يستحق البحث. فالروسيا مثلا دولة حرة قوية استطاعت أن تهيء من مفاهيم كارل ماركس عن العقيدة الاقتصادية ومفاهيم لينين وتروتوسكي وستالين السياسية، لغة تستهوى العقول والأفهام .دون أن تنقل من خلف الستار الحديدى — كما يسميه الغرب — جندياً واحداً . بينما لم تستطع بريطانيا أن تستعمر الدول — المتخلفة طبعاً — إلا بالحيلة والسياسة لتنمي اقتصادياتها وتجارتها بالقوة ، أى بالجند والأساطيل . وإذا لاحظنا أن أمريكا أى الولايات المتحدة الأمريكية قد سيطرت بسياستها الاقتصادية المرنة على دول أوربا ومن بينها بريطانيا ، نتيجة افلاس أوربا الروحي والمادى . وأن بريطانيا العظمى التى بدأ ظلها ينكمش ويتقلص نتيجة ليقظة الأحرار من رجالات مصر ، إذا لاحظنا هذا ، واعتبرنا أن مئات السنين التى مرت على احتلال بريطانيا واستعمارها للشرق ، كان يمكن أن يتقلص منذ عشرات السنين لو أن العرب المسلمون كانوا أشد إيماناً بربهم ، وبمبادىء الاسلام دينهم، فلم يبيعوا حرية بلادهم ، بقدر من الذهب أو الفضة . ولم يتخذوا من أعداء دينهم حلفاء ضد إخوانهم فى الدين ـ إذاً لكان الشرق قد تحرر منذ أمد بعيد ... أقول لو خيرنا اليوم . وبالتحديد لو خير رجال ونساء حزب التحرير فى سوريا والأردن وغيرها من بلاد الشام ، بين أى الطرق تتبع للتحرر النهائى من ربقة الاستعمار ، لما اخترنا غير الطريق الذى يلائم مقوماتنا الاقتصادية والخلقية . . فاذا وجدنا أننا لكى نصبح أحراراً يجب أن نؤمن للناس حرياتهم ، فنقول لهم ما يقوله الله تعالى (لكم دينكم ولى دين) أكنا نختار ألفاظاً نشعر نحن قبل غيرنا بأذى وقعها بل وقرها فى آذاننا؟ فاذا ما تطورنا وسرنا فى الطريق المرسوم لدين الله ... ذلك الطريق الذى لم نخططه

نحن ولكن الله هو الذى خططه واختاره ... أإذا تلاقينا مع غيرنا من الأمم على أمر سواء، أأقول مع ذلك أن مجرد التقائنا مع غير المسلمين يعتبر كفراً ؟ أليس الأصوب أن نلتقى على كلمة سواء فنهدى من هم فى حاجة إلى الهدى بدلا من أن نهاجر من أرضنا لأن حكوماتنا تطبق فى أنظمتها الوضعية أنظمة وضعية ؟ . أليس الأصوب لنا أن نعطى الغرب اليوم وقد تكشفت لنا أساليب المستعمرين ـ ذلك النور السماوى الذى جاء يبحث عنه عندنا ، فوجدنا منهمكين فى منازعات حول السلطات الزمنية . وتهافت على كراسى الحكم فى البلاد ، باسم القبائلية التى لم تعد ذات موضوع بعد أن تشابكت مصالح الناس الاقتصادية ، ومذاهبهم السياسية ، وقربت بينهم الطائرات .. ؟

والخلاصة :

لو تأمل حزب التحرير ولو قليلا فيما يقرره من ضرورة الاجتهاد فى الاسلام إذاً لغير سياسته نحو غير المسلمين من سكان سوريا أولا ، ثم من بعدهم سكان باقى العالم . فليس غير الأسلام ديناً تقرر فيه أن الناس سواسيه كأسنان المشط. أى أن العدالة الاجتماعية بل الانسانية الاجتماعية التى يقرها الإسلام ، لا تفرق بين الناس إلا بتقوى الله فالغنى والفقر مقدور ،والعصبية فى الاسلام مكروهة .والناس ولدتهم أمهاتهم أحراراً. فكلهم راع وكلهم مسئول عن رعيته .

لو تأمل حزب التحرير ولو قليلا لما ضاق صدره بالنظم الغربية ولا ستطاع أن يستنبط منها مثلا بدل أن يتخذها نصوصاً لأحكامه، فان دستور الاسلام وهو القرآن، لم يترك

صغيرة ولا كبيرة إلا وضرب لها مثلا فالحياة الدنيا فى القرآن مثلها كنص الآية (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شىء مقتدراً) .

فإذا كان المجتهدون لم يحاولوا استنباط أحكام خاصة لحياتهم الاجتماعية والاقتصادية من القرآن . فراحت الحكومات والأحزاب الحاكمة تنقل عن الغرب نقلا محرفاً نشأت عنه صور مشوهة، فهل تلام الحكومات؟ أم يلام رجال الشرع والاجتهاد الذين أغلقوا الأبواب على أنفسهم فصاروا مثلا ينطبق على أولئك الذين وصفهم السيد المسيح عليه السلام فى الإصحاح الثالث والعشرين من انجيل متى ....؟ ان الاجتهاد بديهة فى العقيدة الاسلامية لان استنباط الأحكام من الشرع الاسلامى لا يكون الا بالاجتهاد.. ولأن لغة القرآن ، وحكمته، لا تمثل قصة رجل أو امرأة ، ولا تمثل قصة كافر أو مؤمن أو قصة بطل أو جبان . انما هو كتاب أنزل بالحق (و بالحق أنزلناه و بالحق نزل) (وما أرسلناك الا مبشراً ونذيراً) وهو كتاب أنزل للناس كافة (وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس) وهو من وحى الله (ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة) .

لذلك كان أولى بحزب التحرير أن ينقد العالم الاسلامى نقداً موجهاً فلا يغلو ولا يشتط، بل يلتزم الاجتهاد، واستنباط ما يصلح من أحكام القرآن ليطبق عملياً، وليتولى اقناع الحكام بضرورة هذا التطبيق، ابقاء على صفاء التعاليم الاسلامية وتقيداً بأصولها .

ان الاجتهاد فى فهم مكنونات القرآن، لاشك سيقنع الغرب والشرق معاً، أما الجمود ، والتقيد بالنصوص و بالمظهر دون الجوهر ، فلا ينشىء الا إثم التفكير وسوء التقدير والفهم .

ان الغرب يتوق لفهم الحقيقة لأنه اكتشف أن الحياة المادية وحدها لا تكفى لقيام

عالم معنوى يتجاوب انسانياً مع بعضه بعضا . فاذا كنا الآن نصر على أننا خير أمة أخرجت للناس بحكم نص القرآن ، فلا يعنى هذا مطلقاً أننا نستطيع أن نرغم الغرب على الاعتراف بنا كخير أمة أخرجت للناس بلا جدل. فما علينا الا أن نقرع الحجة بالحجة فنتقدم للناس بلغاتهم أحكامنا الصحيحة السائدة المستنبطة من دستورنا. القرآن ...

وإذا كان الغرب بأممه وشعوبه لا يزال يجهل الكثير عما عندنا من أصول ثابتة ، وأحكام سماوية منزلة، فانه ليس هو وحده الذى يجهل ذلك، لأن فى الشرق أيضاً كما فى الشمال والجنوب، أمم لا تزال تعيش على الفطرة الأولى، من حيث الاعتقاد والمعتقد ...

لقد نشر المسيحيون التوراة والإنجيل بلغات عدة وطبعوا ملايين الرسائل التبشيرية، مما ساعد على انتشار المسيحية فى كثير من البلاد وبين كثير من الشعوب . وظللنا نحن جامدون لا نحرك ساكناً إلا إذا كانت تلك الحركة للدفاع عن النفس ضمن الحيز الفردى الخاص .

ولو أن حزب التحرير فى سوريا لاحظ أننا فى أنسب الأوقات لنشر تعاليم الاسلام بكل اللغات ، وأن أية محاولة لاستنكار معيشة الغرب بيننا تزيد من عمق الهوة القائمة فعلا ـ لكان قد عدل برنامجه ، وألغى منه ما يتعارض مع المبادىء الاساسية للاسلام .

لقد استغل حزب التحرير فى سوريا تباين الانظمة والعقائد الغربية فى نظم الحكم التى أدخلت على سوريا بالذات أيام الاحتلال الفرنسى وما بعدها ــ وهى عقائد

اجتماعية وسياسية واقتصادية لاتمت للدين بصلة — حبن لمس أثناء تطبيقها على غالبية اسلامية فى عالم عربى ، عدم التوافق .

وفات حزب التحرير أن هذا التفاوت والتناقض بين أنظمة الغرب وتعاليم الاسلام فى الشرق ليس عجبا بل هو من البدهيات ... لاسباب عدة منها ما هو معروف، كانتشار المسيحية فى أوربا وأمريكا ، وقلة عدد المسلمين فى تلك البلاد ، وندرة المتحدثين باللغة العربيــة التى هى لغة القرآن .. ومنهــا ما هو غير معروف أو على الاقل غير معترف به من المترمتين فى كليهما ـ أى فى كل من الشرق والغرب . كنسبة الرقى بين شعوب العالمين أو لاختلاف الأمزجة والحاجات تبعاً لاختلاف البيئــة ، والمــكان والأخلاق والانطباعات أيا كان نوعها ومصدرها .. فضلا عن أن الشرق وهو منبع العقائد والرسالات الدينية المعترف بهــا من الغرب والتى تمثل دياناتهم بله شرائعهم ، ليس من السهل أن يصبــح منتفعاً بالأضواء الخافتة المادية الواردة اليه من الغرب. والناتجة عن استخدام العلم والعقل البشرى، دون ما نظر إلى الشرائع الدينية ، لأن ضوء الشمس أقوى من كل أضواء الـكون مجتمعــة . . . والشمس تشرق من المشرق .

ولا شك أن ملاحظة حزب التحرير القائلة بأن ثمة انحراف فى الوضع فى ثقافة العالم الاسلامى كان يكون لهـا ما يبررها لو كان الحزب قد حاول أن يفصل الاحطاب الخضراء عن الفحم الذى كان فى أحد مراحل نشوئه حطبا أخضرا.. قبل أن يصبح فحما ... إن أبسط الناس عقلية يدرك أن حرق الحطب الاخضر والفحم فى موقــد واحد سينتج عنه دخانا كثيرا.. فمن أراد أن يستدفىء فعليه أن يختار الوقود المناسب.

أما الخلط بين الفج والناضج ، و بين الاخضر واليابس بله المحترق، فمن الامور التي تستوجب التوجيه...

ليس للاجتهاد قانون أو مقياس و إن كان للنقل والاقتباس حد وقياس .٠. لذلك كان أجدر بحزب التحرير أن يتحسس نوع الوقود الذى يستدفىء به ـ والوقود هنا يعنى العلم .

أنى لا أستطيع أن أهضم بعض العادات الغربية ، لأنى لا أستطيع أن أتعودها أو أمارسها أو أفعلها، بل أنا لا أهضمها لأنها لا تتفق مع مشربى . وقد أشبهها أحيانا رغم طلاوة طعمها ، وحلو مذاقها ، وحرارة لمسها بالشربة التى يتعاطاها سيء الهضم لينظم من جديد عملية الهضم فى جهازه الخاص .

ولا يعنينى اذا ما وجدت أفراداً من عصبيتى يقتبسون تلك العادات التى لا أهضمها أنا ولا أستطيع تقديسا منى لحرياتهم بله لحريتى أن أمنعهم عن ممارسة تلك العادات والتقاليد .. إن كل ما أستطيعه بل ما يجب على أن أستطيعه ،هو أن لا أخلط بين ما أستطيع هضمه أنا ، وما يستطيع الغير هضمه . فقد تتوحد المصيبة أحيانا ،ولكن المصابين بها يختلفون ، من حيث مقدار ما قد يصيب كل منهم . فموت والدى أنا مثلا ، لا يصيبنى منه ذات المكروه الذى يصيب أمى ، لأنى أستطيع أن أحمى نفسى، ولأنها هى فى حاجة الى من يحميها ٠٠٠

هذا من حيث الوضع الطبيعى بل الطبعى للانسانية التى خلقها الله من أب وأم يرجعان إلى اصل واحد ومصدر واحد ولكنهما بطبيعة خلقهما ، يتمثلان فى انتقاص

جزئى ، كأخذ ضلع من آدم لتخلق منه حواء ، وكنتيجة عملية إنتاج استنفد طاقة محدودة .

ولا شك اننا نستطيع ان نجتهد فى فهم الكيفية التى تربط بين الجزء وباقى الاجزاء وبين الاصل او الكل بمعنى اوضح . وقد نرى ان عالما كبيرا كعالمنا الآن يزدحم بملايين البشر ، يساوى تماما من حيث الثقل ، عالم لم يقم فيه سوى آدم وحواء — على اساس أن الروح لا تنقص وان المادة لا تصل الى العدم الكلى .
وقد نجتهد فى استنباط مفهوم آخر : ان تعدد الخلق ينشىء ثقلا اخف وزنا من ثقل العالم فى عصر آدم وحواء بالذات ، ذلك لأن كل مادة صيغ منها الإنسان قد تبلورت قبل ان تصبح عدما ذريا . كالرماد الناتج عن الهشيم . وانه تبعا لذلك تخف نسبة الثقل فى الأصل .

وقد نصل إلى مفهوم آخر : إن توزيع الطاقة على أجسام مستقلة عديدة حية ينشىء توزيعاً مساحياً في الرقعة وأنه من أجل ذلك يتسطح تكوير الأرض نتيجة للانبعاجات التى أحدثها الثقل الموزع من تلك الأجسام البشرية على سطحها وأنه تبعاً لذلك صارت هناك قاعدة لغالبية شعبية . وتتعدد آراء تلك الغالبية الشعبية فينشأ عن تعددها تعطيلا ثم إطالة فى وقت المقاومة . وتشتد مقاومة هذه الغالبية الشعبية فتضعف شدة مقاومتها مقاومة الاقلية الحاكمة . ويقلل طول الوقت من قوة شأن القرارات الخطيرة التى كان يمكن أن تتخذ لو لم يكن هنالك مجال التعدد . والا لما استطعنا أن نكون أحراراً فى ابداء آرائنا فى الوضع الذى نعيش عليه . ان من ناحية السياسة ، وان من ناحية الحكم ، وان من ناحية الحرية . حرية المعتقد .

وهكذا أصبح دفع الناس بعضهم بعضا هو العامل الرئيسى فى بناء المجتمعات .

فليس العيب اذاً أننا نقلنا أو اقتبسنا عن الغرب ، ولكن العيب أننا لم ندرس بتعمق ما نقلناه فاستهوانا الثقل . لأننا خفاف بطبيعتنا أى أكثر روحية ، فى الوقت الذى استهوى الغرب أن يخضع الثقل لقانون النسبية ، فأنشأ الطاقة الذرية . ولعل الفيتامينات هى آخر اختراع للغرب ابتكره جريا وراء الخفة ، اى الروح ، بعد ان عاش فى مادية ثقيلة عشرات القرون .

انه اليوم يبحث عن الروح وعن الوقود ليكفى مؤونة حاجته بعد أن استنفد طاقته ، واستنفد وسائله واصبح مضطراً ان يربط الفكرة الدينية بالفكرة الدنيوية . وهنا تثبت الروح انها حية لا تموت . ولا تنقص وانما تتوزع لتنتج مؤمنين بها . فلو ان جامعيونا الذين يقولون بحرية الفكر قد ادخلوا فى برامجهم العلوم الدينية ، لما كانوا قد انحرفوا قيد انملة عن الحرية الفكرية ، لأن الحرية الدينية وحدها هى التى لا تؤثر على المجتمع تأثيرا ماديا . فالدين كعقيدة لا يباع ولا يشرى ولا يغنى ، ولا يشبع من جوع . واما الآراء الاخرى كلها ، وبالاخص منها الادبية والفلسفية ، فقد تؤدى بالمجتمع الواحد الى الانحلال ، والتفكك فى احزاب تحارب بعضها بعضا كما هو الحال فى سوريا ولبنان ...

ولو أدخل الأزهريون ورؤساء المعاهد الاسلامية العلوم الفلسفية أو الفنية على برامجهم الدينية ، لما كانوا قد أسرفوا أو فرطوا فى الدين . لأن كلمة عالم لا تعنى العالم الدينى فحسب ولكنها تعنى العالم - أى المزود بالعلم والعارف به والعامل على نشره .

والذى لاحظناه أن الناس فى الشرق لا يطلقون وصف عالم الا على المتفقهين فى الدين

والعلوم الدينية، كما لاحظت أن الناس يؤدون سنة الوضوء على أنها اغتسال ظاهرى مع أن القصد منها أن تتوضأ نفسك أى أن تستضىء بنور الله . فالوضوء من وضأ . ووضأ تعنى، بان . أى أن تتبين أنك فى طريقك الى تأدية فريضة الصلاة التى تلحق بسنة الوضوء . والوضوء أيضا فريضة على المسلم . ولكنه من مستلزمات الفرائض التى أجاز الاسلام استبدالها أحيانا كقوله تعالى « فإذا لم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا » .

وإذا قيس اجتهاد أصحاب الآراء الحديثة والمستحدثة من رجال السياسة والأحزاب التى تعمل للوصول عن طريق اجتهادها، فى اقتباس البرامج السياسية للحكم، باجتهاد علماء الاسلام، الذين لم تتسع آفاقهم لآراء مكيفة وأوضاع ثابتة فى القرآن الذى هو عمدة الباحثين والمرجع لكل شرعة ومنهاج فى الدين، لاتضح لنا أن ضعف الاجتهاد فى الناحيتين كان سبب الانحراف الذى صاحب التعاليم الاسلامية منذ عهد الصحابة حتى اليوم . وأصبح بمرور الزمن تقليدا اكتسب صفة التلازم عند المؤمنين مما جعل الظاهرية تطغى على المعنوية.

فاذا أردنا أن ننتقد هذا الوضع المنحرف فى ثقافة العالم الاسلامى . فيجب أن نرجع الى الأصول، أى الى الماضى، قبل أن تكون هناك تفاسير تفسر الدين بتفسيرها لكتابه. ويجتهد واضعوها فى التبيين اللغوى، أكثر مما يتحرون المنطق والعقل. فنشأ عن ذلك أن انقسم المسلمون الى فريقين . فريق يرى أن يتطور العلم بالدين لأن الدين فى الأصل رسم طريق تطور العلم، فى الوقت الذى رسم البداية التى ستعقبها النهاية. وقد تجزأت هذه النهاية لتحقق لناموس الحركة المتابعة والاستطراد . لأن الحركة تأبى الجمود .

فالطاقة الكونية لها تأثير مباشر على البشر باعتباره المادة الكونية المتحركة فيه، ومهمة البشر في حلقة الحياة المفرغة استنفاد تلك الطاقة، لكي تكون هناك نهايات وبدايات، ليكون تطور وليكون تجديد.

فاذا أردنا أن ننتقد هذا الوضع المتحرف في ثقافة العالم الاسلامي، فيجب أن نرجع الى الدين والى الدنيا .. قبل أن تكون هناك شيوعيه أو نازية أو فاشيه أو قوميه اجتماعيه .. أو .. أو .. الخ

وبما أننا لا نقدر أن نديو عقارب الساعة إلى الوراء لنعيش في الماضي - فالساعة لن تعترض على من يديرها إلى الوراء وان كانت تستطيع بحكم وضعها الطبيعي بين يدي الانسان أن تتوقف أو أن يختل نظام سيرها - كما لا نستطيع أن نعيد الحياة لمن فقدها إذ يجب أن نأخذ الماضي وأن نفهمه على أساس اعتباري . فإذا أردنا أن نصدق النبوات التي تنبأ بها الرسل لنرى المستقبل الذي يحدثنا الانبياء عنه فيجب أن نعمل للوصول إليه كما أوصينا . والله تعالى يقول « ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم » .

هذا الجانب من البحث . هل تعرض له سادتنا العلماء والمجتهدين ؟ .. لا لم يتعرضوا له في قليل أو كثير بل قصروا البحث والتفقه في الدين على المنطق . أما الواقع ، وأما الفقه الجوهري ، فلم يتعرض لها أحد .. لماذا ؟ لأن العلماء قد خشوا أن يلقحوا تعاليم الإسلام بعلوم المعرفة ، وعلوم الفلسفة ، وإن كانوا قد لقحوها بعلوم السياسة . فأنشأوا المذاهب الدينية والسياسية على طرائق مختلفة متطرفة ، وعاشوا في واد غير ذي زرع وصيروا بين الانسان وخالقه وسطاء وشفعاء ، وهكذا أصبح الشرق مشتلا خصبا للعقائد الوجودية الحديثة ، والمستحدثة . والعقائد الاقتصادية الاجتماعية المتطرفة ، التي

أحالت المشتل الخصب للأنسانية ، مراعا بارت فيه الحرية الفردية . بل الحرية الفكرية الحقيقية ، حرية المعتقد . فصار الانسان عبداً لذاته ، ثم عبداً لمليكه ، ثم عبداً لعاداته وتقاليده . ولا غرابة اذا وجدنا بين أبناء الشرق من معتنق هذه العقائد والمذاهب الوجودية، من هم أكثر تعصباً وغلواً من أصحاب النظريات والعقائد الغربيين ذاتهم .. وكانت هذه هى النتيجة المنطقية لاستيداع الناس عقولهم مذاهب مادية اصطدمت بالروحانية الساكنة فيها. وكانت الروحانيات وحدها عاجزة طبعياً عن المقاومة، لظهور الاغراء على مسرح الحس. والنفس أمارة بالسوء على حساب ذاتها. ولم تضعف الروح رغم عجزها الى حد الموت، لأنها بطبيعتها لا تموت . فظلت حية . عاجزة عن المقاومة . عاجزة عن الموت . الأمر الذى عطل المفاهيم الأصيلة فى النفس والعقل عن التطور مع ناموس الحركة ، فتخلفت المفاهيم .. وكان يرجى أن تكون معتدلة ، عاملة، نشيطة ، ذات فائدة للمجموعات الشعبيه. فنظام الحكم فى الاسلام يسمح أن يتدخل الدين فى السياسة حين يكون الخطر على معتنقيه شاملا كل الانحاء فتصبح مقاتلة الكفار فريضة على المؤمنين ولا يسمح أن تتدخل السياسة في الدين .

(ولقد نعلم انهم يقولون أنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين)

ومع ذلك نستطيع أن نشهد بأن عجزنا عن ادراك الحقيقة لم يعجزها هى عن إدراكنا .. فكان لتعطل مفاهيمنا عن الأخذ السليم عن المذاهب الأجنبية عن مذاهب العالم الاسلامى ، قوة مباشرة لوثبتنا العارمة الآن ومحاولتنا تصحيح الوضع المنحرف الذي عشنا عليه مئات السنين .لنحقق قيام الامة الوسط لنكون شهداء على الناس

وليكن استشهادنا فى سبيل الله أعز أمانينا .

وإذا كان فى الناس من لم يؤمن برسالة الاسلام لأنها لم تصل اليه ،فليس الذنب ذنبه. بل هو ذنب الذين حملوا الرسالة ليبلغوها .. وبدلا من تبليغها ، حبسوها فى صدورهم، وتحفظوا عليها فى صناديق مقفلة .. مخافة أن تصل أيدى الكفار اليها ..

* * *

لعلى قد أبنت فيما بينت وفيما شرحت أن شرع من قبلنا هو أيضاً شرع لنا ... فالأدلة الشرعية للأحكام التفصيلية الواردة فى القرآن الكريم احدها شرع من قبلنا ...

ولعل حزب التحرير فى سوريا يصحح مفاهيمه من أصول الفقه الاسلامى بعد أن اتضح أن الاسلام لا يقر التعصب البغيض . فكل تعصب خطأ ...

ولعل لى عذرى أيضاً ، إن كنت قد تناولت موضوع الدرس الذى طلب منى لمفاهيم هذا الحزب بحرية فى النشر ، لأنى أعتقد أنه لا سرية فى الاسلام .. ؟

الخـاتمة

أما بعـد ،

فان هذا الكتاب فكرة و إيحاء ، وما ينطوى على هـذا . مما يقذف بالانسان الى أعمق أعماق ذاته . ويحلق به الى أعلى ما يتجه اليه من تحقيق صفاته كانسان أزلى . على أساس ان كل انسان بذاته هو عالم بذاته . فى حين أنه على ما تناوله من تعميقات وتحليقات ، فانه لا أكثر من محاولة فى كل واحدة من خطواتها هدف يستغرق الوصول اليه أعمار وأعمار .

فاذا كنا ننشره الآن فى العالم العربى فما أردنا بذلك الا تنقيل أناملنا على مجموعة من المفاتيح والأوتار والأجراس ، نتحسس بعضها ونضرب بعضها ببعض ، لنصل الى نغم نريد تهيئة الجو الى سماعه . لترتاح النفس المضطربة الحائرة ولتهدأ الأعصاب القلقة المتوترة .

فأما أن يطول بنا الأجل الى العودة الى كل وتر من هـذه الأوتار والأجراس والمفاتيح لنترجم سيمفونيته الكبرى فى كتب وأسفار . وأما أن يتولى غيرنا الامر ، فاننا لا نريد الا الحق والوصول الى الحقيقة . حتى يتحقق لهذا الانسان أن يكسو عالم الاضمار الذى يتحسس النـاس فيه رياش الاطيار ، فيمتلىء الفضـاء بالانوار ، ويستوى فيه الليل والنهار .

وهل هنالك أمنية من أمانى البشرية أسمى من الوصول الى معرفة الانسان لنفسه علـى حقيقتها وتحقيق رسالتها ؟

وهل هناك من سبيل للوصول إلى هذه الغاية الا أن يدرك الانسان مفهوم عقيـدته وتصحيح معتقده ؟

وهل الانسان فى حقيقته الا أصداء عقيدته ؟

وهل أساء الى الانسان فى وضعيته الـكونية شيء أسـوأ من تقسيم نفسيته وتجزىء شخصيته ؟

ولا أعتقد أن هناك مايجمع شمله الا أن يتجمع كله . ولن يكون ذلك الا فى تجميع وحداته فى وحدانيته . وتفاعله فى حياته مع مفهوميات عقيدته .
وعلى هـذا فلن يكون الانسان الا الصورة العملية الصادقة لمفهوم الايمان بالعقيدة .. ومفهوم الانسان بالله .

هدانا الله سواء السبيل .

خير الدين عيسى

الدخيلة (غرب الاسكندرية)

آخر المحرم سنة ١٣٧٥ .

رسالة الخير (٢)

نقض وجودية سارتر

بحث وتحقيق من وجهة نظر اسلامية

(تحت الطبع)

تصويب الاخطاء المطبعية

صفحة	سطر	خطـــأ	صواب
٧	١٦	فتحت	فتحنا
٩	١١	طبيعيون	طبيعيين
١١	٢	يأتى	يأت
٢٤	٥	واجد	موجد
٣٠	١٣	آت	آتيا
٣١	٢	افعال	افعالا
٣٨	٣	فيعرفون	فيعرفوا
٤٠	٣	برزخين	فرسخين
٥١	١٨	وعنصر	وعنصرا
٥٥	١٠	يتم	يقنع
٥٥	١٦	المسلمون	المسلمين
٥٩	٨	والفرج	ثم الفرج
٥٩	١٦	والمسلمون	والمسلمين
٦١	١٢	ولنعيدها	ولنعدها
٦١	١٧	مستساغ	مستساغاً
٦٢	١	واحد	واحدا
٦٤	١٦	ياعد	يتباعد
٦٥	١١	مبعوثى	مبعوثو
٦٦	١٢	جاءوا	جاء
٦٩	٤	عجبا	عجب

صفحة	سطر	خطـــأ	صواب
٦٩	١٢	بله إلى	بله
٧١	١٦	رواية	نص
٧٢	١٨	إلى	على
٧٥	٤	لاتخافى	(تحذف)
٧٥	٥	ولا	لا
٧٨	١٢	اربابا	ارباب
٨٦	١١	وبينهما	وبينها
٨٦	١٢	واقد	وقد
٩٠	٣	يؤمنون	يوقنون
٩٧	١	ابمرهم	اصرهم
٩٨	٧	حاطب	حاطبا
١٠١	١٧	إن مثل	مثل
١٠٢	١٤	وإن	ولئن
١٠٨	١١	رهبان	رهبانا
١٠٩	٨	اثنتا	اثنا
١١٦	١٢	جامدون	جامدين
١١٧	١٥	انحراف	انحرافا
١١٩	١٥	تعطيلا	تعطيل
١٢٠	١٠	جامعيوتا	جامعيينا
١٢٢	١٤	والمجتهدين	والمجتهدون

ورد فى الصفحة ٧٤ تحريف فى الاية الكريمة سطر ١٨ و١٩ وصحتها : « يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً »

وفى صفحة ٩٧ سطر ١ « آمنوا به واتبعوا » وصوابها :
« آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا . . . » الخ

ومن الآية فى صفحة ٨١ سطر ١٩ سقطت كلمة (وكتبه)